قُرّة عُيُون المُوّحدين في

الصلاة الخاشعة

وَالوُقوف بَيْنَ يَدَي ربّ العَالمِيْن

«ويليه كتاب حال السلف في رمضان»

جمع وتعليق وتقديم : الفقير الى ربه والهه سبحانه



إمام وخطيب الجامع الكبير بخميس مشيط

اللهم اغفر له ولوالديه وأهله وذريته والمؤمنين والمؤمنات . آمين



للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وأمرنا بتوحيده وطاعته ووعد من أخلص له العبادة بدار كرامته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأرجو بذلك الحسنى منه وزيادته وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ختم به رسالته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأهل متابعته.

أما بعد فإن أظهر وأجلى أنواع العبادة هي الصلاة الإسلامية فرضها ونفلها ولذلك أكثر الله تعالى من ذكرها ومدح أهلها والثناء عليهم من أجل أدائهم الخشوع فيها والطمأنينة وحضور القلب بين يدي الرب تعالى لما يحصل به للأمة من الخضوع والتذلل والاستكانة وإظهار المسكنة فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله ولا يحصل ذلك في صلاة خالية من الخشوع والطمأنينة وقد ابتلي الكثير من الناس كما نرى بتخفيف الصلاة ونقرها والإسراع فيها وقد يحتج بعضهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم أيكم أم الناس فليخفف الخ ونسوا أو تناسوا أن النبي صلى الله عليه وسلم بين التخفيف بقوله وبفعله فقد ذكر بعض الصحابة أن صلاة الظهر تقام فيذهب أحدهم إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع إلى بيته فيتوضأ ويدرك الركعة الأولى[1] وروى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالصافات ولقد أحسن الشيخ أحمد بن محمد الحواشي حفظه الله في هذه الرسالة وذكر الأدلة الكافية في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه عن النقر كنقر الغراب فعلى المسلم أن يحرص على أداء الصلاة التي يحصل من آثارها الأجر والثواب والتي تنهى عن الفحشاء والمنكر نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صلاتنا وسائر عباداتنا وأن يجزي كاتبها أحسن الجزاء والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ٢٢/٤/١٤١٩هـ

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين عضو الإفتاء المتقاعد.

(١) رواه مسلم في صحيحه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وأمرنا بتوحيده وطاعته ووعد من أخلص له العباده بدار كرامته وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأرجو بذلك الحسنى منه وزيادته وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذين خصه بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأهل متابعته.

أما بعد فان أظهر وأجلى أنواع العبادة هي الصلاة الإسلامية فرضها ونفلها ولذلك أكثر الله تعالى من ذكرها ومدح أهلها والثناء عليهم وان أجل أوصافهم الخشوع فيها والطمأنينة وحضور القلب بين يدي الرب تعالى لما يحصل بذلك من الخضوع والتذلل والاستكانة وإظهار المسكنة فان الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم من اجله ولا يحصل ذلك في صلاة خالية من الخشوع والاطمئنان وقد ابتلى الكثير من الناس كما نرى بتخفيف الصلاة ونقرها والإسراع فيها وقد يحتج بعضهم بقول النبي ﷺ أيكم أم الناس فليخفف ... الخ ونسوا أو تناسوا أن النبي ﷺ بين التخفيف بقوله وبفعله فقد ذكر بعض الصحابة أن صلاة الظهر تقام فيذهب أحدهم الى البقيع فيقضي حاجتة ثم يرجع الى بيته فيتوضأ ويدرك الركعة الأولى[1] وروى النسائي أن النبي ﷺ كان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالصافات ولقد أحسن الشيخ أحمد بن محمد الحواش حفظه الله في هذه الرسالة وذكر الأدلة الكافية في صفة صلاة النبي ﷺ ونهيه عن النقر كنقر الغراب فعلى المسلم أن يجتهد في أداء الصلاة التي يحصل من آثارها الأجر والثواب والتي تنهى عن الفحشاء والمنكر نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صلاتنا وسائر عباداتنا وأن يجزى الكاتب أحسن الجزاء والله أعلى وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

٢٢/٤/١٤١٩هـ

كتبه عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين عضو الإفتاء المتقاعد .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الموحدين الصائمين القائمين المستغفرين بالأسحار إلى يوم الدين وأتباعه بإحسان إلى هذه الساعة وإلى يوم غير يوم قيام الساعة والأشهاد وسلم تسليماً كثيراً ياذا الجلال والإكرام يا ملك يا قدوس أما بعد . . .

فإلى كل مؤمن ومؤمنة تصل إليه هذه الرسالة أهدى السلام فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأجرى الله مقال ثوابي وثوابكم على قراءتكم لها ومن كان سبباً في نشرها وطبعها كما أجرى أنفاسنا جل وعلا واهنئكم بقرب حلول موسم الجنة والفردوس والتنافس والمسارعة إلى الخيرات شهر رمضان شهر القرآن شهر الصيام والتهجد والقيام الذي ما مر بالمسلمين شهر خير لهم منه ولا مر بالمنافقين شهر شر لهم منه حتى إن الله تعالى ليكتب للمؤمن فيه ثوابه وأجره قبل أن يدخله ويكتب إصرة وإثمه على المنافقين قبل أن يدخله لعلمه تعالى بقلوب المؤمنين التي يحركها في صدورهم بالخير ونية الخير وبنوايا المنافقين الذين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً مذبذبين الآية سورةالنساء سبحان ربي يحركُ قلوبهم وبدلاً من أن يشكروه يكفروه ويخادعوه ظناً سيئاً منهم أنه لا يعلم كثيراً مما يعلمون الله أكبر ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فراقب ربك إيها المؤمن كلما حرك قلبك وكلما أجرى نفسك وكلما حرك عينيك فإنك فقير اليه في كل طرفة عين وكن معه كلما حرك قلبك وطرف عينك يكن معك «إن الله مع الذين إتقوا والذين هم محسنون» والتقوى معناها ألا تعصي الله تعالى والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فكلما حرك يدك وكلما حرك دمك وكلما حرك رجلك وكلما أعقلك وأفهمك فازدد شكراً له وقرباً منه لاسيما وأنت تستقبل شهر رمضان المبارك بإنزال القرآن الكريم المبارك وأن يجعلنا من الصادقين المتقين آمين وبعد فإليك هذه التوجهات :

١ - قال الله تعالى ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ﴾ وقال ﷺ «إتق الله حيثما كنت» الحديث ولأهمية التقوى شرع الله تعالى الصيام من أجلها وقال ﴿ كتب

عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ورحم الله سلفنا الكرام كانوا يدعونه تعالى أن يتقبل منهم لعلمهم بقوله تعالى ﴿ إنما يتقبلُ الله من المتقين ﴾ لأن من ضيع توحيده وعبادته أين له التقوى بل لقد شرع اللهُ العبادة من أجل التقوى في السرِّ والنجوى والغيب والشهادة فقال تعالى ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وروى الطبراني عنه ﷺ قال: «من قال لا آله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة قالوا وما إخلاصها يا رسول الله قال: أن تحجزه عما حرم الله وفي رواية «أن تحجزه عن محارم الله» كما روى المنذري «لا يزالُ الناس بخير ما لم يستخفوا بلا إله إلا الله قالوا وما الاستخفاف بها قال أن يروا المنكر فلا يغيرّوه فالنتق الله لتنفعنا لا إله ألا الله فإن من عبد الهوى فقد استخف بلا إله إلا الله قال تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ وقال سبحانه ﴿ ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ فيا إخواتي في الله وأخواتي في الدين النصيحة فمن لا نصيحة له لا دين له من لا ينصح نفسه بتوحيد الله ومن لا ينصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فقد أخل بركن دينه الأعظم ورمضان مدرسة لتربية النفس التي بين جنبيك قال تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها ﴾ لأن من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل لم يصم فلابد من التخلص من الزور كله والعمل به ولابد من البعد عن أسبابه ومهيجاته من قنوات ومسلسلات وأغنيات ولابد من البعد عن أهلها والجهل بعواقب الأمور يورد المرء الموارد والشرور فأقبح داءٍ مدمرٍ وأقبح بلاءٍ خطير بل هو مرض الأمم والشعوب وسرطان الروح والجهل حتى الحج وهو حج يؤثر في قبوله الجهل الذي ينتشر منه الفسق ويتولد منه الرفث «من حج فلم يرفث ولم يفسق» الحديث فاشترط ﷺ سلامة الحج من الفسق والرفث ليقبل كما اشترط في الصيام سلامته من الزور وهو الباطل والفسق والجهل وهو الرفث والظلم وأقبح ظلمٍ على وجه الأرض ظلم الانسان نفسه بشرك أكبر أو أصغر وأجهل الناس من جهل عظمه من شق سمعه وبصره وحرك ويحرك قلبه وروحه ولا غنى له عنه طرفة عين ولا نفس ولا نبطة قلب وصدق الله ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ وهنيئاً لمن سيستقبلون رمضان

بتقوى وتقدير وتعظيم وتوقير وإجلال وتقديس لله الواحد القهار «فإنه ما مر بالمؤمنين شهر خير لهم منه ولا مر بالمنافقين شهر شر لهم منه» ومن أهم تربية للنفس لزوم المصحف لأن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ولزوم المسجد لأن القلب إذا لم يتعلق بالمسجد تعلق بالشارع والضياع ورمضان مزرعة العباد قال ﷺ: «من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وبمناسبة إعادة طبع هذا الكتاب أسأل الله تعالى أن يغفر لمن طبعه ونشره ووزعه ابتغاء وجه الله الكريم لا يريد بذلك غرضاً من أغراض هذه الدنيا الفانية. بمناسبة إعادة طبعه أحببتُ أن أكتب هذه المقدمة لتكون مقدمة للطبعة السادسة تولانا الله تعالى وإياكم في الدنيا والآخرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» آمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأتباعه بإحسان تسليماً كثيراً يا ملك يا قدوس يا سلام سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

إمام المسجد الجامع الكبير بخميس مشيط

أحمد بن محمد عبدالله الحواشي



إنَّ الحَمْـدَ لله نَحْمَـدُه ونَستَعِينهُ ونَستَغْفرُه ونَستَهديه ونَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنا ومِنْ سَيئاتِ أعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلاَ مُضِلَ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3]

أمَّا بَعْـدُ:

فَــإِنَّ أصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله وَأحْسَن الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمْدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَة وكُلُّ ضَلالَةٍ فِيْ النَّارْ.

وبعــد:

فَلاَشَــكَ أنَّ الصـــلاَةَ الــرُكْنُ الثَّانِي مِنْ أرْكَانِ دِينِ الإسْلاَم وَمَبَانِيهِ العِظَامِ وَلاَحَظَّ فِيْ الإِسْلامِ لِمَنَ تَرَكَ الْصَّلاَةَ وَلاَ عَهْدَ عِنْدَ الله تَعَالَى لِمَنْ تَهَاوَنَ بِالْصَّلاَةِ فَقَدْ رَوَى الأَئِمَةُ[4] الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالْتِرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثُ حَسَنُ صَحَيْح وابْنُ مَاجَه وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ عَنْ بُرِيدَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُــولُ (العَهْــدُ الَّذِيْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم الْصَّلاَةَ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) وَرَوَى الْطَبْرِيُ بِإسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ (بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ

---

[1] سورة آل عمران الآية (١٠٢) (٢) سورة النساء آية (١). (٣) سورة الأحزاب آية (٧٠-٧١).

[4] نقلاً عن الإمام المنذري في الترغيب والترهيب مع تصرف بسير رحمة الله تعالى علينا وعليه وعلى علماء المسلمين أجمعين آمين

الْكُفْـر وَالإِيْمَـانْ الصَّلاَةَ فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ) وَرَوَي ابْنُ مَاْجَه وَالْبَيْهقِيُّ عَنْ أَبي الدَّرْدَاء ﷺ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيْلِي ﷺ أَن لا تُشْرِكْ بِاْلله شَيْئًا وإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ وَلاَ تَـتْرُكْ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِمَّةُ وَلاَ تَشْرَبِ الْخَمْـرَ فَإِنَّهَـا مِفْـتَاحُ كُلِ شَرْ) وَعَنْ عَاْصِم بن سُفْيَانَ الثَقَفِي : أَنَّهُمْ غَزَوُا غَزْوَةَ السَلاَسِـلِ فَفَـاتَهُم الْغَزْو فَرَابَطُوا ثُمَّ رَجَعُوا إِلى مُعَاوِيَةَ وعِنْدَه أَبُو أَيوبِ وعُقْبَةُ بنُ عَامِر فَقَالَ عَاْصِمُ يَا أَبَا أَيُّوبِ فَاتَنَا الغَزْوَ العامَ وقد أُخْبِرنَا أَنَّهُ مَنْ صَلَّى فِي المَسَاجِدِ الأَربعَـةِ غُفِـرَ لَهُ ذَنْبُه فَقَالَ : يَا أَخِي : أَلاَ أَدُلُّك عَلى أَيسرَ مِنْ ذَلِك ؟ إِنِي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ (مَنْ تَوَضَأَ كَمَا أُمِرَ وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ كَذَلِـكَ يَا عُقْبَةُ قَالَ نَعَمْ) رَوَاهُ النسَّائِي وابنُ مَاجَه وابنُ حبَّانَ فِي صَحِيحِه ، فَاغْتَنِمْ أَيُّهَـا الْمُسْـلِمُ حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَصِحَتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وتَذَّكرْ حَدِيْثَ رَسول الله ﷺ فِـي صَـحِيْحِ الْـبخَارِي (أَنَّ الْعَـبدَ إِذَا مَرِضَ أَو سَافَرَ كَتَبَ اْللهُ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَـحِيحاً مُقِيمـاً وَفِـي مُخْتَصَـرِ الـتَرْغِيب والـتَّرْهِيب[1] فِـي الْوضُوءِ بِرَقْمِ (١٨١) حَدِيـثُ عَمْـرُو بنُ عَبْسَةَ وَفِي آخِرِه (فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ وَأَثْنَى عليه وَمَجَّـدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لله تَعَالَى إِلاَّ انصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِه كَهَيْئَتِه يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُهُ) رواهُ مُسْلِمُ وفِي البَابِ قَبْلَهُ رقم (٣٦٠) حديثُ عُثْمَانَ وفيه سَمِعْتُ رَسُولَ اْلله ﷺ يَقُـولُ (مَـا مِـنْ امْـرِئٍ مُسْـلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةُ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وخُشُـوعَهَا وَرُكُوعَهَـا إِلاَّ كَـانَتْ كَفَّـارَةً لِما قَبْلَها مِن الذنوبِ ما لَمْ تُؤتَ كَبِيرَة وَذَلِـكَ الدَهْرَ كُلَّهُ) رواهُ مُسْلِمُ وَذَكَر أَيْضاً حَدِيْثَ عُبَادَةَ سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يَقُولُ (خَمْسُ صَلَوَات افْتَرَضَهُنَّ اْللهُ مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ وصَلاَهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وسُـجودهن كَـانَ لَـهُ عَلَى اْللهِ عَهْدٌ أَن يَغْفِرَ لَهُ) وَلَقَد عَلَّقْتُ عَلَىَ رِسَالَة إِلى إِمَامِ الْمسَّجِدِ وَهَذْا نَصُّهَا كَامِلَةً [2].

---

[1] نقل حرفياً من كتاب الترغيب والترهيب صفحة (١٥٧ ، ١٥٨) .

[2] وهي في الأصل لواحد من الأخوة في الله تعالى المدرسين طلب مني أن أصححها وأن أراجعها وأن أعلق عليها فأجبته إلى ذلك والحمد لله رب العالمين .

مقدار صلاة الرسول ﷺ

أخي المسلم .. أخي إمام المسجد .. السَّلامُ عَليكُمْ ورحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ .. وبَعْدُ :

إليكَ أخي هَذِه المَعلومَاتُ التي جَمَعْتُها لكَ عَنْ مِقْدَارِ صَلاةِ الرسُولِ ﷺ

قَالَ ابنُ القَيِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى [1] :

وأَمَّا مِقْدَارُ صَلاةِ رَسُوُلِ اللهِ ﷺ فَهِي مِنْ أجلِّ المَسَائِلِ وأَهَمِّهَا ، وحَاجَةُ النَّاسِ إلىَ مَعْرِفَتِها أعْظَمُ مِنْ حَاجَاتِهِم إلىَ الطَعَامِ والشَّرَابِ وقَدْ ضَيَّعَهَا النَّاسُ مِنْ عَهْدِ أنَسَ بنِ مَالكٍ رضي الله عنه . فَفِي (صَحيحِ البُخَارِي) من حَديثِ الزُهْرِيِّ قَالَ (دَخلْتُ عَلَى أنسِ بنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي فَقُلْتُ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ .. لاَ أعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا أدْرَكْتُ إلاَّ هذه الصَّلاةُ ، وهَذه الصَّلاةُ قَدْ ضُيعَت) . وقَالَ مُوسَى بنُ إسْمَاعَيلُ : حَدَّثَنا مَهْدِيُ عَنْ غَيْلاَنَ عَنْ أنسٍ قَالَ : (مَا أعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، قِيلَ : فَالصَّلاةُ ؟ قَالَ : ألَيْسَ قَدْ صَنَعْتُم فِيهَا مَا صَنَعْتُم) أخْرَجَهُ البُخارِيُّ عَنْ مُوسَى وأَنَس رضي الله عنه تَأَخَّرَ حَتىَ شَاهَدَ مِنْ إضَاعَةِ أرْكَانِ الصَّلاةِ وأَوقَاتِهَا وتَسْبِيحَها فِي الرُكُوعِ والسُّجُودِ وإتْمَامَ تَكْبِيرَاتِ الانْتِقَالِ فِيهَا مَا أنْكَرَهُ ، وأَخْبَرَ أنَّ هَدْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ بِخِلافِه كمَا سَتَقِفُ عَلَيْه مُفَصَّلاً إنْ شَاءَ اللهُ . فَفِي الصَّحِيحَيْن ، مِنْ حَدِيثِ أنَس رضي الله عنه قَالَ (كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يُوجِزُ الصَلاةَ ويُكْمِلُها) وَفِي الصَّحيحَينِ عَنْه أيْضاً قَالَ : (مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إمَامٍ قَطُ أخَفَّ صَلاةً ولاَ أتَّم مِنْ صَلاةِ النَّبي ﷺ) زَادَ البُخَارِيُ وأَنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَبِيِّ فَيُخَفِّف مَخَافَةَ أنْ تُفْتَنَ أُمَّهُ ، وَفِي هَذَا دليلٌ واضِحُ أنَّ صَلاَتَهُ ﷺ كَانَتْ تَامَّةً وإنَّمَا يَطْرَأُ التَخْفِيفُ فِي

---

[1] من كتاب (الصلاة) لابن القيم رحمه الله تعالى . وهذا النقل بتصرف .

حَالاَتٍ ضَرُورِيَّةٍ بَلْ أن أَمَرَهُ للأئمَّةِ بالتَخْفيفِ لَدَليلُ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُتِمُّوهَا كَامِلَة بأرْكَانِهَـــا ، وَوَاجِبَاتِها وَمَسْنُونَاتِها ، وَمُسْتَحَبَاتِهَا ، وإلاَّ لَمْ يَكُنْ للأَمْرِ مَكَانُ لَوْ كَانَ الإِمَامُ سَيَقْرَأُ بالطُورِ[1] كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَفْعلُ أَوْ بالمُرْسَلاَتِ ، وَهِيَ خَمْسُونَ آيَـــةً وَهَي مِنْ آخِرِ السُوَرِ التي كَانَ يَقْرأُ بهَا رَسُولُ الله ﷺ في صَلاَةِ المَغْرِبِ قَبْلَ وَفَاتِـــهِ فَسَـــمِعَ بُكَـــاءَ صَبيٍّ فَلاَ حَرَجَ أَنْ يُخَفِفَ فَيَقْرأ مَثَلاً بالإنْفطارِ أَوْ بالأَعْلَى أَوْ الغَاشَـــيةِ أَوْ القَارِعَـــة ، وَمَعْ ذَلكَ فَلْيَحْذَر مِنْ تَخْفِيفٍ يُخَالِفُ السُنَّةَ مَهمَّا كَانَ الأَمْرُ ضَرُورِيَّاً فَقَد (كَرِهَ أَهْلُ العِلْمِ التَخْفِيفَ وَهَذَا إجْمَاعٌ مِنْهُمْ عَلى أَنَّهُ يُكْرَهُ للإمامِ تَخْفِيفٌ يَمْنَعُ المَأْمُومَ مِنَ الإتْيَانِ بالمُسْتَحَبَّاتِ فَكَيفَ بتَخْفِيفٍ يَمنَعُ المَأْمُومَ مِنْ بَعْضِ الأَرْكَانِ كَالطُمَأْنِيـــنَةِ ومِـــنَ الوَاجِـــبَاتِ كَإكْمَـــالِ التَسْبِيحَاتِ والأَدْعيةِ فَضْلاً عَنْ المَسْنُونَاتِ والمُسْتَحَبَّاتِ) فَوَصَفَ صَلاَتَهُ ﷺ بالإيجازِ وَالتَمامِ ، وَالإيجَازُ هُو الذي كَانَ يَفْعَلُهُ ، لاَ الإيجَـــازُ الذِي كَانَ يَظُنُّهُ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلى مِقْدَارِ صَلاَتِه ، فَإنَّ الإيجَازَ أَمْرُ نِسْبيُّ إضَـــافيُّ رَاجِـــعُ إلى السُنَّةِ لاَ إلى شَهْوةِ الإمَامِ وَمَنْ خَلْفَهُ فَلَّمَا كَانَ يَقْرأُ في الفَجْرِ بالسِّـــتِّينَ إلى المائَـــةِ كَـــانَ هَـــذاَ الإيجَازُ بالنِّسْبَةِ إَلى سِتِمائَةِ إلى أَلْفٍ ولَّمَا قَرأَ في المَغْـــرِبِ بالأَعْـــرافِ كَانَ هَذاَ الإيجَازُ بَالنِّسْبَةِ إلى البَقَرةِ ، وَيَدُلُّ عَلى هَذَا أَنَّ أنسا نَفْسَهُ قَالَ فِي الحَدِيثِ الذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَسَائيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدالله بنِ إبرَاهِيمَ بنِ كَيْسَانِ حَدَّثَنِي أبي عَنْ وَهْبِ بنِ مَأْنُوسٍ سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ جُبَيرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَنَسَ بـــنَ مَالِك يَقُولُ : (مَا صَلَّيتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَشْبَهَ صَلاَةٍ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ هذا الفَتى يَعْني عُمَرَ بن عَبْدالعَزِيزِ – فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيْحَاتٍ وفِـــيْ سُـــجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيْحَاتٍ بُطَمأْنِينَةٍ ، لاَحِظْ قَوْلَهُ أَشْبَه دَليلِ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصَلاَةِ رَسُوْلِ الله ﷺ ، وإنَّمَا فَيْهَا شَبَه مَنْ صَلاَتِه عليه الصلاةُ والسلامُ فَإنَّهُ كَانَ يقول

[1] قرأ صلى الله عليه وسلم بسورة الطور بمسجده بالمدينة النبوية المنورة على من نورها الله بقدومه ورسالته صلوات الله وسلامه فلقد نور سبحانه الدنيا بإرساله إلى الناس كافة ، قرأ بسورة الطور بالمدينة وقرأ بها في صلاة المغرب بالمسجد الحرام في حجة الوداع وقد حج معه نحواً من مائة ألف نسمة وأصل الحديث في صحيح البخاري .

فـــي كُـــلِ رُكُـــوعٍ وسُجُودٍ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَّبَنَّا وَبَحمْدِك اللَّهُمَّ أغفِرْ لِي وكَانَ يَقُولُ سُـــبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائكَةِ والُروحِ وكَانَ يَقَوُلُ فِي الَّركُوعِ اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَـــنْتُ ، ولَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وبَصَرِي وشَعْرِي ومُخِّي وعَصَبِي ودَمِي ، وكَـــانَ يَقُـــولُ ﷺ فِـــي سُجُودِه اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيكَ تَوكَّلْتُ ولَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي للهِ الذي خَلَقَهُ ، وشَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالقِينَ . اللَّهُمَّ زِدْنِي بِهَذِهِ السَّجْدَةِ عِنْدَكَ أَجْراً وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْراً وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْراً وَتَقَبَّـــلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ عليهِ السَّلاَمِ سُبْحَان رَبِّنَا إِنَ كَانَ وَعْدُ رَبِنَا لَمَفْعُـــولاً ، وأَنَسُ أيضاً هُوَ القَائلُ فِي الحَدِيثِ المُتَّفَق عليه : (إنِّي لاَ آلوُ أَنْ أُصلِّيَ بِكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصلِّي بِنَا) قَالَ ثَابِتُ : (كَانَ أَنَسُ يَصْنَعُ شَيْئًا لاَ أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُكُوعِ انْتَصَبَ قَائماً حَتَّى يَقُولَ القَائلُ قَدْ نَسِيَ ، وإِذَا رَفَـــعَ رَأْسَـــهُ مِنْ السَجْدَةِ مَكَثَ حَتَّى يَقُولَ القَائلُ قَدْ نَسِيَ) وأَنسُ هُوَ القَائلُ هَذَا وَهُوَ القَائلُ : مَا صَلَّيتُ وَرَاءَ إِمَامٍ أَخَفَّ صَلاَةٍ وَأَتَمَّ مِنْ صَلاَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدِيثِه لاَ يُكَذِّبُ بَعْضُه بَعْضاً [1].

وَمِمَّا يُبَيِّنُ مَا ذَكَرْنَاهُ مَا رَوَاهُ أبو دَاوُدَ فِي (سُنَنِه) مَنْ حَدِيثِ حَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتُ وَحُمَيْدُ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالكٍ قَالَ : (مَا صَلَّيتُ خَلْفَ رَجُلٍ أَوجز صَلاَةً مِنْ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ فِي تَمَامٍ وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَالَ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَامَ حَتَّى نَقُـــولَ قَدْ أَوْهَمَ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ ثُمَّ يَسْجُدُ ، وكَانَ يَقْعُدُ بَيْنَ السَجْدَتَينِ حَتَّى نَقُول قَدْ أَوْهَمَ) هَـــذَا سِيَاقُ حَدِيثِهِ . فَجَمَعَ أَنَسُ رضي الله عنه فِي هَذَا الحَدِيثِ الصَحِيحِ بَيْنَ الإخْبَارَ بِإِيجَازِهِ ﷺ وإتْمَامِهَا ، وَبَيَّنَ فِيهَا أَنَّ مِنْ إِتْمَامِهَا الذي أَخْبَرَ بِهِ إِطَالَةَ الاعْتدَالَيْنِ حتى يَظُنَّ

[1] والـــتخفيف هو الذي أمر به صلى الله عليه وسلم وعمل به فكان يقرأ في الفجر بالستين آية إلى المائة كما في الحديث المتفق علـــى صـــحته وكان يقرأ صلى الله عليه وسلم سورة السجدة وسورة الإنسان في كل فجر من صبيحة الجمعة كما في الحديث المـــتفق على صحته فهل هذا إيجاز وتخفيف أم إطالة إيجاز وتخفيف بلا شك ولا مراء وقال ابن القيم رحمة الله تعالى علينا وعليه ربما قرأ بالمائتين آية انتهى أن خلفه خصوصاً في صلاة الفجر الرجال والنساء والضعفه والصغار .

الظَانُ أنَّهُ قدْ أوْهَمَ (مَا رَأَيْتُ أَوْجزَ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلاَ أتَمّ) ، فَيُشْبهُ أنْ يَكُـونَ الإيجَازُ عَائداً إلِى القِيَامِ والإتْمَامِ إلِىَ الرُكُوعِ والسُّجُودِ والإعتْدَالَين بَيْنَهُمَا ، لأنَّ القِيَـامَ لاَ يَكَـادُ يُفْعَلُ إلاَّ تَامّاً فَلاَ يَحتَاجُ إلِىَ الوَصْفِ بالإتمَامِ بخلاَفِ الرُكُوعِ وَالسّـجُودِ والإعتَدَالينِ . وسِرُّ ذَلكَ أَنَّهُ بإيجَازِ القِيامِ وإطَالةِ الرُكُوعِ والسُّجُودِ تَصِيرُ الصَّـلاَةُ تَامَّةً لإعْتدَالِهَا وتَقَارُبِها فيُصَدِّقُ قوْلَهُ : (مَا رَأيْتُ أوْجَزَ وَلاَ أتَمَّ منْ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) .

وَهَـذَا هُوَ الذِي كَانَ يَتَعَمَّدَه صَلَوَاتُ اللهِ وسَلاَمُهُ عَلَيْهِ فِي صَلاَتِه فَإنَّهُ كَانَ يَعْدلُها حَيْثُ يَعْتَدِلُ قيامُهَا وَرُكُوعَها وَسُجُودُهَا وَاعْتدَالُهَا حَتَى كَانَ إذَا أطَالَ القِرَاءَة صَـلَوْاتُ اللهِ وسَـلاَمُهُ عَـليهِ أطَـالَ الـرُكُوعَ والسَّجُودَ لتَقْرُبَ مَنْ السَّوَاءِ . فَفِي (الصَّـحِيْحَين) عَـن البرَاءِ بنِ عَازِبٍ قَال : (رَمَقْتُ الصَّلاَةَ مَعْ مُحَمدٍ ﷺ فَوجَدْتُ قِيامَهَ فَرُكُوعَهُ فَاعْتَدالَهُ بُعْدَ رُكوعِهِ فَسَجْدَتُهُ فَجلْسَتهُ بَيْنَ السَّجْدَتَينِ فَسَجْدَتُهُ فَجلْسَتُهُ مَا بَيْـنَ التَسْليمِ والإنْصِرَافِ قَرِيْبَاً مَنَ السَواءِ) وَفي لفظِ لَهُمَا (كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قيَامُـهَ وَرُكُوعُهُ وإذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُكُوعِ وَسُجُودُهُ وما بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ قَرِيبَاً مِنَ السَواءِ) . ولاَ يُنَاقِضُ هَذَا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي هَذَا الحَديثِ : (كَانَ رُكُوعُ النَّبِي ﷺ وَسُـجُودُهُ وَمَـا بَيْنَ السَّجْدَتَينِ وإذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مَا خَلاَ القَيَامُ وَالقُعُودُ قُرِيباً مِنَ السَّـوَاءِ) فَإنَّ البَراءَ هُوَ القَائلُ هَذَا وَهَذَا ، فإنَّهُ فِي السِّيَاقِ الأَوْلِ أدْخَلَ فِي ذَلكَ قِيامُ القِـرَاءةِ وَجُـلُوسِ التَشهُدِ ، ولَيْسَ مُرَادُهُ أنَّهُمَا بِقَدرِ رُكُوعِه وَسُجُودِه ، وإلاَّ نَاقَضَ السِّـيَاقُ الأَوْلُ الثانَي ، وَإنَّمَا المُرَادُ أنْ طولَهُمَا كَانَ مُنَاسِباً لِطُولِ الرُكُوعِ وَالسَّجُودِ والإعْـتِدالَينِ ، بحيْثُ لاَ يَظْهَرُ التفاوتُ الشَديدُ في طولِ هَذَا وقصرِ هَذا كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرُ مِمَّنْ لاَ عِلْم عنْدَهُ بالسُنَة ، يُطيلُ القِيامَ جداً ويُخَفِفُ الركوعَ والسجودْ ، وكَثيراً مَا يَفْعَلُونَ هَذاَ فَي التراويحِ وَهَذَا هُوَ الذي أنْكَرهُ أنسْ بِقَولِه : (مَا صَليْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَـطُ أخَـفَ صَلاَةٍ وَلاَ أتَمَّ منْ صَلاَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ) ، فَإنَّ الكَثير يَخُفَفُ الرُكُوعَ

والسَّجُودَ وَالاعْتِدالَيْن ، فَلاَ يُكْمِلُ الصَّلاَةَ ، فَالأَمْرَانِ اللَّذَانِ وَصَفَ بِهِمَا أَنسُ رَسُولَ الله ﷺ هُمَـــا الــلَّذَانِ كَانَ الأَئمةُ يُخَالِفُونَهُمَا ، ولِهَذَا قَالَ ثَابِتُ : (وكانَ أَنسُ يَصْنَعُ شَــيْئاً لاَ أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ ، كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ انْتَصَبَ قَائِماً حَتَى يَقُولَ القَــائِل قَدْ نَسِيَ) فَهَذَا الذي فَعَلَهُ أَنسُ هُوَ الذي كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَفْعَلُهُ وإِنْ كَرِهَهُ مَــنْ كَـــرِهَهُ فَسُــنَّةُ رَسُولَ الله ﷺ أَوْلَى وأَحقُ بِالإِتبَاعِ . وَقَوْلُ البَرَاءِ في السياقِ الآخرِ: (مَا خَلاَ القِيامُ والقُعُودُ) ، بيَانُ أَنَّ رُكْنَ القِرَاءَةِ والتَشُهدِ أطْولُ مِنْ غَيْرِهِمَا وأمَّـــا فعْلُ النَّبيِ ﷺ فَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ أنسٍ أنَّه صلَّى بِهِم صَلاَةَ النبي ﷺ فكانَ يقُوم بَعْدَ الرُّكُوعِ حتَى يَقُولَ القَائِلُ قَدْ نَسِي ، وكانَ يقولُ بَعْدَ رفعَ رَأْسِه مِنْ الرُّكُوعِ) سَمِعَ اللهُ لِمَــنْ حَمِــدَه ، اللَّهُمَّ رَبَنَا لَكَ الحمدُ حَمْداً كَثِيْراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ مِلءَ السَمَوات ومِــلءَ الأَرْضِ وَمِــلءَ مَا بَيْنَهُمَا ومِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلُ الثناءِ والمَجدِ . أحقُ مَا قَالَ العبدُ وكُلُنَا لَكَ عَبْد .. اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أُعْطَيتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِ مِنْكَ الجَدِ رَوَاهُ مُسْلِمٍ مَنْ حَدِيثِ أَبي سعيد وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابنِ أَبِي أَوْ فِي وَزَادَ فِيهِ بَعْدَ قَوْلِه مِنْ شَيءٍ بَعْدُ : اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَلْجِ وَالبَرَدِ ، والمَاءِ البَارِدِ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنْ الذُنُوبِ وَالخَطَايَا ، كَمَا يُنَقَّى الثَوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَنَسِ) .

وَيَــزِيدُ فِــي قِيَــامِ اللَّيلِ لِرَبِيَ الحَمْدُ لِرَبِيَ الحَمْدُ ، وَيُكَرِّرُ ذَلِكَ صَلَوَاتُ الله وَسَــلاَمُهُ عَــلَيْه . وكَذَلِكَ كَانَ هَدْيُه فِيْ صَلاَةِ اللَيْلِ يَرْكَعُ قَرِيْبَاً مِنْ قِيَامِه ، وَيَرْفَعُ رَأْسَــهُ بِقَــدْرِ رُكُوعِهِ وَيَسْجُدُ بِقَدْرِ ذَلِكَ ، وَيَمْكُثُ بَيْنَ السَجْدَتَيْنِ بِقَدْرِ ذَلِكَ[1] وَكَذلِكَ فَعَلَ فِي صَلاَةِ الكُسُوفِ أَطَالَ رُكْنَ الإِعْتِدَالِ قَرِيباً مِنَ القِرَاءَة فَهَذَا هَدْيُهُ الذي كَأَنَّكَ تُشَــاهِدُهُ وَهُوَ يَفْعَلُهُ ، وَهَكَذَا فَعَلَ الخُلَفَاءُ الرَاشِدِينَ مِنْ بَعْدِه فَأَحَادِيثُ أَنَسٍ رضي الله عنه كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبي ﷺ كَانَ يُطِيلُ الرُّكُوعَ والسَّجُودَ والإِعْتِدَالَيْن زِيَادَةً عَلَى مَا يَفْعَلُهُ

---

[1] وكـــان يقول صلى الله عليه وسلم ربي أغفر لِيّ ربي أغفر لِيّ ربي أغفر لِيّ اللهم أغفر لِيّ ويكرر ذلك وأرحمني وأهدني وعافني وأجبرني وأكرمني ولا تهني وأرفعني ولا تضعني وزدني ولا تنقصني وآثرني ولا تؤثر علي وهكذا يكرر ذلك كثيراً .

أكثرُ الأئمّةِ بلْ كلُّهمْ إلاَّ النادرَ فأنسُ أنكَر تطوِيلَ القِيامِ علَى مَا كَانَ رَسوْلُ اللهِ ﷺ يفْعلُهُ وقَال : (كَانتْ صَلاَةُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتقَارِبةً يقْرُبُ بعْضُها منْ بعْض) وَهَذَا مُوافِقٌ لِرِوايةِ البَراءِ بنَ عَازبٍ أنها كَانتْ قَرِيبَةً منَ السَّوَاءِ . فَأَحَاديثُ الصَّحَابَةِ فِي هَذَا البَابِ يُصدِّقُ بعْضُها بعْضاً وأخيراً أخِي المُسْلِمُ بَعْدَ مَعْرِفةِ مَا سبَقَ عَنْ مقْدارِ صَلاَتهِ ﷺ أفَلاَ يَجِبُ علَينا إتبَاعُهُ ﷺ في جَميعِ أفْعَالِهِ وأقْوَالِه .

أخي المسلم :

الطمأنِينةُ فِي جَمِيع أركَانِ الصَّلاَةَ وَوَاجبَاتِها وسُننِهَا قدْ فقَدَهَا الكَثِيرِ منَ المُسلِمينَ إلاَّ مَنْ هَدَى الله . فأحْرِصْ أخِي المُسلمَ علَى التَّمَامِ فِي الصَّلاَةِ التِي إنْ حَفظْتَهَا فَأنتَ لِمَا سوَاهَا أحفَظُ وإنْ ضَيَّعتَهَا فأنتَ لِمَا سوَاهَا أضيَعُ . هَذا وَالله يَجْمَعُنَا بِكَ فِي الفِرْدَوسِ الأعلَى مِنْ جَنّتِهِ إنَّهُ وليُّ ذَلكَ وَالقَادرُ عليه .

وبَعْدُ لَمَّا رَأيْتُ الحَاجَةَ مُلحَّةً فِي التَّوَسُعِ فِي المَوْضُوعِ أحْبَبْتُ أنْ أنقُلَ لِلْقَارِئِ كَلاَماً نَفِيساً أغْلَى مِنْ أنْ يُكْتَبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ بلْ وَحَاجَةَ النَّاسِ إلَيْهِ أشَدُّ مِنْ حَاجَتِهِمْ إلى الطَّعَامِ والشَّرَابِ فِي زَمَنٍ أضَاعَ فيه أكثَرُ النَّاسِ الصلوات واتَّبعُوا الشَّهوَاتِ وغَفَلُوا عَنْ كَثْرَةِ ذِكرِ فَاطِرِ الأرْضِ والسَّمَاواتِ القَائِلِ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[1]

وحذَّرَ سُبْحَانَهُ منْ حَالِ المُنَافقِينَ فقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2]

---

[1] سورة الأحزاب آية (٤١ – ٤٢) .

[2] سورة النساء – آية (١٤١ – ١٤٢) .

وَلَـــوْ أَنَّ الــنَّاسَ اهْــتَمُواْ بِالْصَّـــلاَةِ كَمَا كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ يَهْتَمُونَ بِهَا لَمَا تَوَرَّطُوا فِي الْمُنْكَرَاتِ وَلاَ تَعَاطَوُا الْمُحَرَّمَاتِ وَلَذلك لَمَّا قَالَ أَنَسُ بنُ مَالك ﷺ خَادِمَ رَسُولَ الله ﷺ (إِنَّكُمْ لَتعَملُونَ أَعمَالاً هِيَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ كُنَّا نَعُدُهَا عَلَى عَهْـدِ رَسولِ الله ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ) رَوَاهُ الْبُخَارِي فِي صَحِيْحِهِ كَانَ كَذَلَكَ يَبْكِي لَمَّا ذَهَبَ لِلشامِ وَلَمَّا سُـئِلَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِه فَإِذَا بِه عَلَى ضَيَاعِ الصَّلاَة وَقَالَ لَمَّا سُـئِلَ عَنْ بُكَائِه (مَا أَرَى شَيْئَاً مِمَّا كَانَ عليْه رَسُولُ الله ﷺ إِلاَّ هَذهِ الصَّلاَةَ وَهَذِه الصَّلاَةُ قَــدْ ضُيِّعَتْ) رَوَاهُ الْبُخَارِي فِي صَحِيْحِهِ وَفِي رِوَايةٍ ثَانِيَةٍ فِي صحيحِ الْبُخَارِي أَيْضاً رَحِمَهُ الله تَعَالَى (مَا أَرَى شَيْئَاً مِمَّا كَانَ عليْه رَسولَ الله ﷺ فَقَالُوا السَّنَا نُصَلِّي قَال أَلسْتُم قَدْ صَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ)[1] .

فَيَا أَيُهَا الأَخْوَةُ فِي اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا أَنْ نُحْسِنَ وُقُوفَنَا وَأَدَبَنَا وَتَضَرُعَنَا وَدُعَاءَنَا بِرَبِنَا جَلَّ وَعَلاَ وَإِذَاْ قَالَ الْوَاحِدُ مِنَّا سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَلْيَتَذَكَرْ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُهُ وَيَسْمَعُ حَمْدَهُ وَتَضرعَهُ وَدُعَائَهُ وَتَكْبِيْرَهُ وَاستغفَارَهُ . وَلْيَقُلْ وَكَأَنَّهُ وَاقِفُ أَمَامَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ الــرَّحِيمِ (اللَهُمَّ رَبَنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّبَاً مُبَارَكَاً فِيهِ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الأَرْضِ وَمِلءَ مَاْ بَيْنَهُمَا وَمِلءَ مَاْ شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ أَهلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُ مَاْ قَالَ الْعَــبْدُ وَكُلُنَا لَكَ عَبْدُ اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتُ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِ مِــنْكَ الْجَدِ اللَّهُمَّ طَهِرْنِي بِالثَّلجِ وَالْبَردِ اللَّهُمَّ طَهِرْنِي مِنَ الذُنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الــثَوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَنَسْ) وَهَذَا مَنْقُولُ مِنْ صَحِيْحِ البُخَارِي وَصَحِيح مُسْلِمْ فَأَوَّلُهُ مُــتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ أَعْنِي فِي الصَّحِيْحَيْنَ وَآخِرُهُ فِي صَحِيح مُسْلِم وَزَادَ مُسْلِمُ أَيْضاً رِوَايَــةً ثَانِيَةً فِيهَا (كَمَا يُنَقَّي الثوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ) وَكَانَ رَسُولَ الله ﷺ يُكَرِّرُ بَعْدَ هَذَا الذِكرُ رَبِي لَكَ الْحَمْدُ رَبِي لَكَ الْحَمْدُ رَبِي لَكَ الْحَمْدُ وَهَذَا فِي جَامِعِ الأُصُول

---

[1] مــع أنه ﷺ هو الذي يروي أكثر أحاديث التخفيف ومع ذلك يبكي على ما صنع في الصلاة في آخر وقته وقبل وفاته من تأخيرهــا عن وقتها ونقر وسرقة أركانها وواجباتها ومسنوناتها ومستحباتها حتى الصفوف يقول ﷺ لو اقتربت من الواحد أي لتلصق قدمك بقدمه لنفر منك كأنه خيل شمس . فتح الباري شرح صحيح البخاري .

فـي أَحَادِيثِ الرسُولِ ﷺ لابنِ الأَثِيرِ بالسَّنَدِ الصَّحِيحِ وفي لَفْظ أيْضاً لِرَبيَ الْحَمْدُ لِـرَبِيَ الْحَمْـدُ لِرَبيَّ الْحَمْدُ وَتكْرَارُ هَذَا الذِّكْرِ سُنَّةٌ ثَابِتَةٌ وَهُوَ أيْضاً فِي سُنَنِ الإمَامِ النَّسَـائي رَحْمَـةُ الله عَلَيْنَا وَعَلَيْه وَعَلى عُلَماءِ المُسْلِمَينَ أجْمَعِينَ آمينْ ، وكَانَ يقِفُ حَـتَّى يُقَالَ قَدْ نَسي كَمَا فِي الْحَدِيثِ المُتفَقِ عَلى صِحتِه وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْن كَانَ يَجْلِسُ حَتَّى يُقَالَ قَدْ نَسِيْ وَيَقُولُ رَبي اغفِرْ لِيَ رَبي اغْفِرْ لِيَ وَيُكَرِّرُ ذَلَكَ وَرَبَّما قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِـرْ لِـيَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ اللَّهُمَّ اغفِرْ لِيَ يكَرِّرُ صَلَوَاتُ الله وَسَلاَمُهُ عَلَيْه وارْحَمْنِي وأهْدِنِـي وَعَافِـنِي وَارْزُقْـنِيْ وَأجْبُرْنِيْ وَأكْرِمْنِي وَلاَ تُهِنِّي وارْفَعْنِي وَلاَ تَضَعْنِيْ وَآثِـرْنِي وَلاَ تُؤْثِـرْ عَـلَيَّ وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي ، وَلَوْ دَعَى الْمُصَلِيْ بَعْدَ ذَلَكَ أوْ كَرَّرَهُ مِـرَاراً فَلاَ بَأْسَ ، فَإنَّ هَذَا الْمَوْطِنَ مِنْ مَوَاطِنِ إجَابَةِ الدُّعَاءِ وَهَذَا فِي الْفَرائِضَ بَلْ صَـرَّحَ الإمَـامُ ابْـنُ قَاسِـمِ رَحْمَةُ الله عَلَيْنَا وَعَلَيه بِأنَّ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ يَعْنِي فِي الْفَـرائِضِ أطْوَلُ مِنْ ذلكْ ، أيْ أَطْوَلُ مِنَ الاعْتِدالَيْنِ اللَّذَيْنِ يقِفُ فِيْهِما حَتَّى يُقَالَ قَدْ نَسى وَهَذَا الْكِتابُ مُهِم جِداً لِكُل طَالِبِ عِلْمٍ شَرْعِيْ وَهُوَ (كِتَابُ الإحْكَامِ شَرْحُ أُصُولِ الأَحْكَامِ) فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتْ وَأَمَّا فِي قِيَامِ اللَيلِ فَكَانَ لَهُ شَأْنُ عَظِيمُ وَصَلاَةٌ يَالهَا مِنْ صَـلاَةٍ لأَنَّـه كَانَ يَأْمُرُ مَنْ أَمَّ النَّاسَ أنْ يُخَفِفْ وَهُوَ أولُ مَنْ نفذَ ذَلَكَ صَلَوَاتُ الله وَسَلاَمُه عَلَيهِ وَآلِه وَصَحْبِه وَسَلَّمْ . وَالتَّخْفِيْفُ هُوَ مَا ذُكِرَ سَابِقَاً وَيُوجَدْ كِتَابُ عُنْوَانَهُ (مَـنْ أمَّ الـنَّاسَ فَلْيُخَفِف) لِلطَّرْهُونِي أَتَمنَّى ألاَّ يُصَلِّي إنْسَانُ بِالنَّاسِ[1] وَيتَّحملْ هَذه الأمَانَـةَ العَظِيْمَةَ الَّتِي هِيَ وَظِيفَةُ الأنبِيَاءَ والرسُلْ وَخُلَفَائِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمِ إلاَّ وَقَدْ قَرأَهُ لِيَعْـرِفَ بالدَّلِيلِ الْقَطْعِيْ مَا هوَ التَّخْفِيْف الذي يَعْنِيه رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَآلِه وَسَـلَّم أوْ (كِتَابِ الصَّلاَةِ) لابْنَ الْقَيِّم رَحْمَةُ الله عَلَيْنَا وَعَلَيْه أوْ (كِتَاب صَلاَةِ الْمُحِبِين وَالطَـرِيقِ إلى إمَامَـةِ المُتقِّين) لَهُ أيْضاً أوْ (كِتَابِ الإحكام) لابنَ قَاسمْ لأنَّ مَنْ أمَّ

---

[1] إماماً بـل وأدعـو الله تعالى وهو القريب المجيب أن ينشره بين عباده جميعاً أئمةً ومأمومين ليعلموا علم اليقين لا علم الظن والـتخمين ما هو التخفيف الذي أرادهُ سبحانه وتعالى على لسان رسوله وخليله نبينا وإمامنا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم آمين القائل صلى الله عليه وسلم(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) متفق على صحته .

النَّاسَ فَهُوَ ضَامِنٌ فالْحَذَرَ الْحَذَرَ فَقَدْ رَدَّ عَلَيه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الأَعْرَابِيَّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقُولُ لَهُ (ارْجِعْ فَصلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصلِّ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهْ) .

لأَنَّهُ لَمْ يَطْمَئِنْ ، فَأَرْكَانُ الصَّلاَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رُكْنَاً ، مِنْ هَذِهِ الأَرْكَانُ الطُمَأْنِينَةُ فِي جَمِيعِ الأَرْكَانِ فَالطُمَأْنِينَةُ فِي كُلِ رُكْنٍ رُكْنٌ لِكُلِ رُكْنٍ وَمَنْ أَسَاءَ صَلاَتَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ وَالإِثْمِ بِعَدَدِ مَنْ صَلَّى خَلْفَهْ) فَالله الله فِي السَّدَادِ وَالْمُقَارَبَةِ بَيْنَ صَلاَتِنَا وَصَلاَةِ مَنْ يَقُولُ (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) ﷺ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيْ وَلْنَسْتَمِعَ أَوْ نَقْرَأَ إِلى شَيءٍ مِنْ صِفَةِ صَلاَتِه فِي اللَيْلِ لِنَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ تَخْفِيْفِه إِمَامَاً فِي الصَّلاَةِ وَمُنْفَرِدَاً حَيْثُ يُطَوِّلُ مَا شَاءَ فَقَدْ رَوَى الأَئِمَّةُ الْبُخَارِيُ وَمُسْلِمُ فِي الصَّحِيْحَيْنِ حَدِيْثَ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا وَهِيَ تَصِفُ طُولَ وَحُسْنَ صَلاَتِه وَتَقُولُ (فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ) الْحَدِيْثُ تَعْنِي مَهْمَا أَصِفُهَا لَكَ فِي الْحُسْنِ وَالطُولِ فَلَمْ أُوفِهَا حَقَّهَا وَرَوَى الإِمَامُ مُسْلِمُ فِي صَحِيْحِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فقلتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ فَمَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ مَضَى ثُمَّ افْتَتَحَ النِساءَ فَقَرأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا اسْمَعْ اسْمَعْ مَاذَا يَقُولُ مَنْ صَلَّى مَعَهَ يَقْرأَ مُتَرَسِلاً أَيْ يُرَتِلُ الْقِرَاءَةَ تَرْتِيْلاً وَيَتْلُوُ الْقُرآنَ حَقَ تِلاَوَتِهِ (إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٍ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعُوذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ . اسْمَعْ اسْمَعْ مَرَةً أُخْرَى مَاذَا يَقُولُ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه فَجَعَلَ يَقُولُ (سُبْحَانَ رَبِيَ الْعَظِيْمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِه ثُمَّ قَالَ سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبَاً مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِي الأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبَاً مِنْ قِيَامِه) وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ فَلاَ تَبْخَلْ أَخِي المُسْلِمَ عَلَى نَفْسِكَ وَلاَ تَكُنْ شَحِيَحاً فِي زِيَادَةِ تَسْبِيحَةٍ أَوْ عَشْرٍ أَوْ أَكْثَر فَإِنَّكَ لَوْ عَبَدْتَ الله تَعَالَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مَا أَدَّيْتَ شُكْرَ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ فَكَيْفَ بِالنِّعَمِ الأُخْرَى التِي لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَيْنُكَ كَمْ تَتَحَرَّكْ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَمَا تَعْلَمْ أَنَّ نِعْمَةَ الْبَصرِ رَجَحَتْ بِعِبَادَةِ

خمسمائة عام أما تتذكر بحركتها رقابة الله تعالى عليك أربعة وعشرين ألف نفس في اليوم والليلة فهل حمدت الله تعالى على كل نفس وهذا أعني عدد الأنفاس ذكره ابن القيم في (طريق الهجرتين) وهنا لعلك تعرف السر في قيامه حتى تورمت قدماه ﷺ كما في الصحيحين حينما قال (أفلا أكون عبداً شكوراً) وقد أمر بالقنوت وحث عليه كما في صحيح مسلم (حينما سئل عليه الصلاة والسلام أي الصلاة أفضل ؟ قال طول القنوت) أي القيام . قال تعالى :

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[1]

وهذا يعم الفرائض والنوافل وفي صحيح البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت (يسجد تعني رسول الله ﷺ السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية) الحديث .

فما أحوج الناس إلى هذا العلم والعمل بما قال الله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]

وأما في صلاة الكسوف فكان له شأن آخر فقد قام بالناس حتى جعل بعضهم يغشى عليه وحتى جئ بالقرب ليصب عليهم الماء في الصفوف كما في (صحيح مسلم وسنن أبي داود) وتقول عائشة رضي الله عنها كما في (الحديث المتفق على صحته) ما ركع ركوعاً قط ولا سجد سجوداً قط هو أطول منه وفي (صحيح مسلم) ظنوا أنه لا يركع من طول ما قام ولما ركع ظنوا أنه لا يرفع من طول ما ركع وحتى أراه الله تعالى الجنة والنار في صلاة الكسوف كما في الحديث المتفق على صحته وهم أن يأخذ عنقوداً من عنب الجنة وقال لو أخذته

---

[1] سورة البقرة – آية (٢٣٨) .

[2] سورة الأحزاب – آية (٢١) .

لأكلتم منهُ ما بقيت الدُّنيا ورأى المرأة التي حبست الهرة في النَّار ورأى عمر بن لُحيٍّ في النار كذلك وهو أول من بدَّل دين إبراهيم ﷺ .

وفي الختام .. لنبدأ مع ابن القيم رحمة الله تعالى في كتابه (صلاة المحبين) مع بعض تصرف يسير جداً ، ونذكر أن الصلاة هي أقرب طريق تصل به إلى الله تعالى بعد توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية قال تعالى ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾[1]
وقال سبحانه : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾[2]

وَقَالَ سُبْحَانهُ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3]

وَقَالَ سُبْحَانهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[4]

ولقد كان بعض السلف يقول سبعين تسبيحة في قيامه[5] الليل وتنقله ثم بعد التسبيح والتمجيد والتعظيم يأتي دور الدعاء فلا دعاء إلا بعد التسبيح فإذا قلت سبحان ربي

---

(١) سورة النجم – آية (٦٢) .

(٢) سورة العلق – آية (١٩) . .

(٣) سورة السجدة - آية (١٥ – ١٧) .

(٤) سورة الإسراء – آية (١٠٧ – ١٠٩) .

(٥) أي إذا ركع وإذا سجد يقول في ركوعه سبعين مرة سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبعين مرة ومع ذلك أين هذا من عدد تسبيحه صلوات الله وسلامه عليه حيث كان يركع بمثل ما قام فمعنى ذلك أنه يقول أضعاف أضعاف ذلك .

الْعَظِيـمِ سُبْحَانَ رَبِيَ الأَعْلَى فَقَدْ جَاءَ دوْرُ الدُعَاءِ ولَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[1]

لاَ يَقُومُ وَلاَ يَقْعُدُ وَلاَ يَرْكَعُ وَلاَ يَسْجُدُ إِلاَّ وَيَقُولُ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِيَ ، وكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِيَ الأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ وكَانَ يَقُولُ أَيْضاً سُبْحَانَ رَبِـيَ الْعَظِيـمِ وَبِحَمْـدِهِ وكَانَ يُعَدِّلُهُ فِي الرُكُوْعِ وَالسُّجُودِ بِقَدْرٍ مَا قَامَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَـلَيهِ وَعَـلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وقَدْ أَوْصَانَا بِالإِكْثَارِ مِنَ الدُّعَاءِ خُصُوْصاً فِي السُّـجُودِ لأَنَّـهُ أَقْـرَبُ حَالَةً يَكُوْنُ الْعَبْدُ فِيْهَا قَرِيْباً مِنَ اللهِ تَعَالَى وكَانَ عَبْدُاللهِ بِنْ مَسْـعُوْدٍ يُوْصِي إِخْوَانَهُ بِأَنْ يُنْزِلُوا حَوَائِجَهُمْ وَمَسَائِلَهُمْ وَدُعَائَهُمْ فِي الْفَرَائِضِ لأَنَّهَا أَيْ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ أَقْرَبُ لإِجَابَةِ الدُّعَاءِ فَمَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلى اللهِ بِمِثْلِ الْفَرَائِضِ وَلاَ يَـزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى يُحِبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِذَا أَحَبَّهُ سبحَانَهَ وَتَعَالَى سَدَّدَهُ وَتَـولاَّهُ وَحَفِظَـهُ وَرَعَـاه وَدَفَعَ عَنْهُ وَدَافَعَ عَنْهُ وَعَادَى مَنْ يُعَادِيْهِ وَوَالَى سُبْحَانَهُ مَـنْ يُوالِيـهِ فَالصَّـلاَةُ قُـرَّةُ عُيُونِ الْمُوحِدِينَ وَالْمُحبِينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَا فِيْهَا مِنْ مُـنَاجَاةِ مَـنْ لاَ تَقَـرُّ الْعُيُـونُ إِلاَّ بِهِ وَلا تَطْمَئِنُ وَلاَ تَسْكُنُ النَّفْسُ إِلاَّ إِلَيْهِ وَالتَّنَعُمُ بِذِكْـرِهِ والإِبْـتِهَاجُ بِمُـنَاجَاتِهِ والْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيْهِ والتَّلَذُذَ بِالْخُضُوْعِ لَهُ وَالْقُرْبِ مِنْهُ وَلاَسِيَّمَا فِي حَالِ السُّجُوْدِ[2].

وَتِلْكَ الْحَالُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبدُ مِنْ رَبِه فِيْهَا فَلاَ شَيءَ أَقَرَّ لِعَيْنِ الْمُحبِ وَلاَ أَلَـذُّ لِقَلْبِهِ وَلاَ أَنْعَمَ لِعَيْشِهِ مِنْهَا إِذَا كَانَ مُحِباً . فَهذَا إِذا انْصَرَفَ مِنْهَا وَجَدَ خِفَّةً مِنْ

---

[1] سورة النصر – آية (٢ – ٣) .

[2] كمــا في قولــه صلى الله عليه وسلم (اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) قال ابن القيم رحمه الله أما القرب المذكور في الكتاب والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) فهذا قربه من داعيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) و (أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل) فهذا قرب الإحاطة .

نَفْسِــهِ وَأَحَـسَّ لأَنَّهَا قَدْ وُضِعَتْ عَنْهُ فَوَجَدَ نَشَاطاً وَرَاحَةً وَرَوْحاً حَتَّى يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُــنْ خَــرَجَ مِنْهَا لانها قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَعِيمَ رَوْحِهِ وَجَنَّةَ قَلْبِهِ وَمُسْتَرَاحِهِ فِي الدُّنْيَا. فَلاَ يَزَالُ كَأَنَّهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ حَتَّى يَدخُلَ فِيْهَا فَيَسْتَرِيْحَ بِهَا لاَ مِنْهَا . فَالْمُحِبُّونَ يَقُولُونَ نُصَـلِّيَ فَنَسْـتَرِيْحَ بِصَـلاَتِنَا كَمَـا قَالَ إِمَامُهُمْ وَقُدَوتُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ ﷺ (يَا بِلاَلُ أَرِحْنَا بِالصَّـلاَةِ)[1] وَلَمْ يَقُلْ أَرِحْنَا مِنْهَا . وَقَالَ ﷺ (جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ)[2] فَمَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةِ كَيْفَ تَقَرُّ عَيْنُه بِدُوْنِهَا وَكَيْفَ يُطِيْقُ الصَّبْرَ عَنْهَا ؟ فَقُرَّةُ العَيْــنِ الَّتِي يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِالْوُصُولِ إِلَيْهَا وَمَحْضُ لَذَّتِهِ وَفَرحِهِ وَسُرُوْرِهِ وَبَهْجَتِهِ إِنَّمَا هُــوَ فِــيْ الصَّلاَةِ الَّتِيْ هِيَ صِلَةٌ بِاللهِ وَحُضُوْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمُنَاجَاةٍ لَهُ وَاقْتِرَابٍ مِنْهُ فَكَيْفَ لاَ تَكُوْنُ قُرَّةَ الْعَيْنِ ؟ وَكَيْفَ تَقَرُّ عَيْنُ المُحِبِ بِسِوَاهَا ؟ فَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ مَنْ يَقُوْلُ نُصَلِّي وَنَسْتَرِيْحَ مِنَ الصَّلاَةِ ؟

فَالْمُحِبُ رَاحَتُهُ وَقُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةِ وَالْغَافِلُ الْمُعْرِضِ لَيْسَ لَهُ نَصِيْبٌ مِنْ ذَلِكَ بَلِ الصَّلاَةُ كَبِيْرَةٌ شَاقَةٌ عَلَيْهِ إِذَا قَامَ فَكَأَنَّهُ عَلَى الْجَمْرِ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ وَاجِبِ الصَّلاَةِ وَعَجَّلَهَا وَأَسْرَعَهَا فَهُوَ لَيْسَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِيْهَا وَلاَ لِقَلْبِهِ رَاحَةٌ بِهَا . فَهِيَ كَبِيْرَةٌ عَــلَى هَــذَا وَقُرَّةُ عَيْنٍ وَرَاحَةَ لِذَلِكَ . وَالْعَبْدُ إِذَا قَرَّتْ عَيْنُه بِشَيْءٍ وَاسْتَرَاحَ قَلْبُه بِهِ فَأَشَــقُ مَا عَلَيْهِ مُفَارِقَتُه وَالْمُتَكَلِفُ الْفَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ الْمُبْتَلَى بِحُبِ الدُّنْيَا أَشَقُ مَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَأَكْرَهُ مَا إِلَيْهِ طولَّهَا مَعَ تَفَرُغِهِ وَصِحَّتِهِ وَعَدَمِ انْشِغَالِهِ . وَهَذَا الْكُرْهُ مِنْ تَلْبِيْسِ إِبْلِيسَ نَعُوذُ بِاللهِ تَعَالَى مِنْهُ ..

وَمِمَّــا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الصَّلاَةَ الَّتِيْ تَقَرُّ بِهَا الْعَيْنُ وَيَسْتَرِيحُ بِهَا الْقَلْبُ هِيَ الَّتِي تَجْمَعُ سِتَّةَ مَشَاهِدَ :

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٦٤ و ٣٧١) وابو داود (٤٩٨٥ و ٤٩٨٦) بسند حسن .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥) والنسائي (٧/٦١) من حديث أنس ﷺ وهو حديث صحيح .

المَشْهَدُ الأَوَّل : الإِخْلَاص[1] :

وَهُـوَ أَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ عَلَيْه والدَّاعِي إِلَيْهَا : رَغْبَةُ الْعَبْدِ فِي الله وَمَحَبَّتِه لَهُ وَطَلَـبِه مَرْضَـاتِه وَالْقُرْبِ مِنْهُ وَالتَّرَدُّدِ إِلَيْه وامْتِثَالِ أَمْرِه بِحَيْثُ لاَ يَكُونُ الْبَاعِثُ لَهُ عَـلَيْهَا حَظَّـاً مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا الْبَتَّةَ بَلْ يَأْتِي بِهَا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّه الأَعْلَى مَحَبَّةً لَهُ وَخَوْفَاً مِنْ عَذَابِه وَرَجَاءً لِمَغْفِرَتِه وَثَوَابِه .

المشهد الثاني : مَشْهَدُ الصِّدْقِ وَالنُّصْحِ :

وَهُـوَ أَنْ يُفَـرِّغَ قَلْبَهُ فِيْهَا وَيَتَفَرغ جَهْدَهُ فِي إِقْبَالِه فِيْهَا عَلَى الله وَجَمْعِ قَلْبِه عَـلَيْهَا وإِيقَاعِهَـا عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوه وَأَكْمَلِهَا ظَاهِراً وَبَاطِناً فإِنَّ الصَّلاَةَ لَهَا ظَاهِرٌ وَبَـاطِنٌ فَظَاهِرُهَا الأَفْعَالُ المُشَاهَدَةُ وَالأَقْوَالُ الْمَسْمُوعَةُ وَبَاطِنُهَا الْخُشُوعُ وَالْمُرَاقَبَةُ وَتَفْـرِيْغُ الْقَـلْبِ لله وَالإِقْـبَالُ بِكُلِّيَّتِه عَلَى الله فِيْهَا لاَ يَلْتَفِتُ قَلْبُه عَنْهُ إِلى غَيْرِه فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ لَهَا وَالأَفْعَالُ بِمَنْزِلَةِ الْبَدَنِ فَإِذَا خَلَتْ مِنَ الرُّوحِ كَانَتْ كَبَدَنٍ بِلاَ رُوحٍ .

أَفَـلاَ يَسْـتَحِي الْعَبْد أَنْ يُوَاجِه سَيِّدَهُ بِمِثْلِ ذَلِك ؟ فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلاَةِ بَادَرَ الْمُحِبَ إِلَيْهَا مُكْمِلاً لَهَا نَاصِحاً فِيْهَا لِمَعْبُودِه كَنُصْحِ الْمُحِبِ الصَّادِقِ الْمَحَبَةِ لِمَحْبُوبِه الَّذِي قَدْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَعْمَل شَيْئَاً مَا .

فَهُـوَ لا يُـبقِيْ مَجْهُوداً بَلْ يَبْذُلَ مَقْدُورَهُ كُلَّهُ فِي تَحْسِيْنِه وَتَزْيِيْنِه وإِصْلاَحِه وَإِكْمَالِه لِيَقَعَ مَوْقِعاً مِنْ مَحْبُوبِه فَيَنَالَ بِه رِضَاهُ عَنْهُ وَقُرْبِه مِنْهُ أَفَلاَ يَسْتَحِي الْعَبْدُ مِنْ رَبِّـه وَمَـوْلاَهُ وَمَعْـبُودِه أَنْ لاَ يَكُونَ فِي عَمَلِه هَكَذَا وَهُوَ يَرَى الْمحبِّينَ فِي أَشْغَالِ مَحْبُوبِيْهِم مِنَ الْخَلْق كَيْفَ يَجْتَهِدُونَ فِي إِيْقَاعِهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْه وَأَكْمَلِه ؟

---

[1] قـال ابـن القيم رحمه الله (العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه) وأعلم يا أخي بأن عقبة الإخلاص عقبة كؤود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود . نفعها كثير ، وقطعها شديد ، وخطرها عظيم .

بَـلْ هُوَ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ مَنْ يُحِبُّهُ مِنَ الْخَلْقِ فَلاَ أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ رَبِّهِ بِهَـذِهِ الْمَنْزِلَةِ وَمَنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ وَعَرَفَ أَعْمَالَهُ اسْتَحَى مِنَ اللهِ أَنْ يُوَاجِهَهُ بِعَمَلِهِ أَوْ يَرْضَاهُ لِرَبِّهِ وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ عَمِلَ لِمَحْبُوبٍ لَهُ مِنَ النَّاسِ لَبَذَلَ فِيهِ نُصْحَهُ وَلَمْ يَدَعْ مِنْ حُسْنِهِ شَيْئاً إِلاَّ فَعَلَهُ .

المَشْهَدُ الثَّالِثُ : مَشْهَدُ المُتَابَعَةِ وَالإِقْتِدَاءِ :

وَهُـوَ أَنْ يَحْرِصَ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى الإِقْتِدَاءِ فِي صَلاَتِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلِّي كَمَـا كَـانَ يُصَـلِّي وَيُعْـرِضَ عَمَّا أَحْدَثَ النَّاسَ فِي الصَّلاَةِ مِنَ السَّرِقَةِ وَالنُّقْصَانِ وَالأَوْضَاعِ الَّتِي لَمْ يُنْقَلْ عَنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْءٌ مِنْهَا وَلاَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ . وَلاَ تَقِـفُ عِـنْدَ أَقْـوَالِ الْمُرَخِّصِـيْنَ الَّذِيـنَ يَقِفُـونَ مَعَ أَقَلِّ مَا يَعْتَقِدُونَ وُجُوبَهُ وَيَكُـونَ غَيْـرُهُمْ قَـدْ نَـازَعَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَوْجَبَ مَا أَسْقَطُوهُ وَلَعَلَّ الأَحَادِيثَ الثَّابِتَةَ وَالسُّـنَّةَ النَّـبَوِيَّةَ مِـنْ جَانِـبِهِ وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى ذَلِكَ وَيَقُولُونَ نَحْنُ مُقَلِّدُونَ لِمَذْهَبِ فُـلاَنٍ وَفُـلاَنٍ وَهَـذَا لاَ يُخَلِّصُ عِنْدَ اللهِ وَلاَ يَكُونُ عُذْراً لِمَنْ تَخَلَّفَ عَمَّا عَلِمَهُ مِنَ السُّـنَّةِ فَـإِنَّ اللهَ إِنَّمَـا أَمَرَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ وَحْدَهُ وَلَمْ يَأْمُرَ بِإِتِّبَاعِ غَيْرِهِ وَإِنَّمَـا يُطَـاعُ إِذَا أَمَـرَ بِمَـا أَمَـرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَكُلُّ أَحَدٍ سِوَى الرَّسُولُ ﷺ فَمَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ وَمَتْرُوكٌ . وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّا لاَ نُؤْمِنَ حَتَّى نُحَكِّمَ الرَّسُولَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَنَا وَنَنْقَادَ لِحُكْمِهِ وَنُسَلِّمَ تَسْلِيمَاً فَلاَ يَنْفَعَ تَحْكِيمَ غَيْرِهِ وَلاَ يُنْجِيـنَا مِـنْ عَـذَابِ اللهِ وَلاَ يُقْبَلُ مِنَّا هَذَا الْجَوَابَ إِذَا سَمِعْنَا نِدَاءَهُ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ : ﴿ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[1] فَإِنَّـهُ لاَبُـدَّ أَنْ يَسْأَلَنَا عَنْ ذَلِكَ وَيُطَالِبَنَا بِالْجَوَابِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[2]

---

[1] سورة القصص – آية (٦٥) .

[2] سورة الأعراف – آية (٦) .

فَمَنِ انْتَهَتْ إِلَيهِ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَرَكَهَا لِقَولِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فَسَيُرَدُّ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَعْلَمُ مَا ضَيَّعَ وَمَغْبَةَ مَا فَرَّطَ مِنَ الاقْتِدَاءِ كَمَا فِي قَولِهِ جَلَّ وَعَلاَ .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]

المشهد الرابع : مشهد الإحسان :

وَهُــوَ مَشْهَدُ المُرَاقَبَةُ وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ وَهَــذَا المَشْهَدُ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ الإِيْمَانِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَى اللهَ سُــبْحَانَهُ وَتَعَــالَى فَــوقَ سَــمَوَاتِهِ مُسْــتَوِياً عَلَى عَرْشِهِ يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَيُدَبِّرُ أَمْــرَ الْخَــلِيقَةِ فَيَــنْزِلَ الأَمْــرَ مِــنْ عِــنْدِهِ وَيَصْــعَدُ إِلِيهِ وَتُعْرَضُ أَعْمَالُ العِبَادِ وَأَرْوَاحَهُــمْ عِــنْدَ المُوَافَــاةِ عَــلِيْهِ فَيَشْهَدُ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ وَيَشْهَدُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَيَشْهَدُ قَيُّومَــاً حَيَّــاً سَــمِيْعَاً بَصِيْرَاً حَكِيْمَاً آمِراً نَاهِياً يُحِبُ وَيَغْضَبُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِــنْ أَعْمَــالِ الْعِــبَادَ وَلا أَقْوَالَهُــمَ وَلاَ بَوَاطِــنَهُم بَلْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُدُورِ . ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[2]

وَمَشْــهَدُ الإِحْسَــانِ أَصْلُ أَعْمَالِ القُلُوبِ كُلِهَا فَإِنَّهُ يُوجِبُ الإِجْلاَلَ وَالتَّعْظِيْمَ وَالْخَشْيَةَ وَالْمَحَبَّةَ وَالإِنَابَةَ وَالتَّوكُلَ وَالخُضُوعَ للهِ سُبْحَانَهُ وَالذِّلَّةَ لَهُ وَيَقْطَعُ الوَسَاوِسَ وَحَدِيْثَ النَّفْسِ وَيَجْمَعُ الْقَلْبَ وَالهَمَّ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَتَقَدَسَ الذِّي هُوَ مَعَ عَبْدِهِ مَا ذَكَرَهُ وَتَحَرَّكَتْ بِهِ شَفَتَاهُ .

فحــظ العــبد مــن القرب من الله على قدر حظه من مقام الإحسان وبحسبه تتفاوت الصلاة حتى يكون بين صلاة الرجلين في الفضل كما بين السماء والأرض

---

[1] سورة الأحزاب – آية (٢١) .

[2] سورة الملك – آية (١٤) .

وقِيَامَهُمَا وركوعهما وسجودهما واحد ذاك حاضر القلب بين يدي ربه وذلك معرض غافل : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[1]

عَنْ عَمَّارْ بنْ يَاسِرٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهُ ﷺ يَقُولُ (إِنْ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَاْ يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلاَ عُشْرُهَا ، تُسْعُهَا ، ثُمْنُهَا ، سُبُعُهَا ، سُدُسَهَا ، خُمُسُهَا ، رُبُعُهَا ، ثُلُثُهَا ، نِصفُهَا) [2].

المشهد الخامس : شُهُودُ الْمِنَّة :

أَنْ يَشْهَدَ أَنْ الْمَنَّةَ لله سُبْحَاْنَهُ فِي كَوْنِهِ أَقَامْهُ فِيْ هَذَاْ الْمَقَام وَأَهلَه ووَفَقَه لِقَيْامِ قَلْبِهِ وبَدنْهِ فِيْ خِدْمَتهِ فَلُوَلاْ الله سُبُحْاْنَهُ لَمْ يكُنْ شَيْءُ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3]

فَالله سُبْحَانَهُ هُوَ الْذَّي جَعلَ المُسَلمِ مُسْلِماً وَالْمُصلِّي مُصلِّياً كمَاْ قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيهِ الْسَّلاَمُ : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾[4]

وقَالَ : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾[5]

---

[1] سورة الماعون – آية (٤ – ٥) .

[2] أخرجه أحمد (٤/٣١٩-٣٢١) وأبو داود (٧٩٦) بسند حسن .

[3] سورة الحجرات – آية (١٧) .

[4] سورة البقرة – آية (١٢٨) .

[5] سورة إبراهيم – آية (٤٠) .

فَالْمِـــنَّةُ لِلهِ وَحْـــدَهُ فِي أَنْ جَعَلَ عَبْدَه قَائِماً بِطَاْعَتِه وَكَاْنَ هَذَاْ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِه عَلَيه قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1]

وقَالَ : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[2]

وَهَـــذَا المَشْهَدُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَشَاهِدِ وَأَنْفَعِهَا لِلعَبْدِ وكُلَّمَا كَانَ العَبْدُ أَعْظَمَ تَوْحِيْدَاً كَانَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا المَشْهَدِ أَتَمْ .

وَفِيهِ مِنَ الفَوَائِدِ :

أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ القَلْبِ وَبَيْنَ العُجْبِ بِالعَمَلِ وَرُؤْيَتِه فَإِنَّهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ المَنَّانُ بِهِ المُوَفِّقُ لَهُ الهَادِي إِلَيهِ شَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ رُؤْيَةِ نَفْسِه وَالإِعْجَابِ بِعَمَلِه وَأَنْ يَصُــولَ بِـــهِ عَلَى النَّاسِ . فَيُرْفَعُ مِنْ قَلْبِهِ فَلاَ يُعْجَبُ بِهِ وَمِنْ لِسَانِهِ فَلاَ يَمُنُّ بِهِ وَلاَ يَسْتَكْثِرُ بِه وَهَذَا شَأْنُ العَمَلِ المَرْفُوعِ .

وَمِنْ فَوَائِدِهِ :

أَنْ يُضِيفَ الحَمْدَ عَلَى وَلِيِّه وَمُسْتَحِقِه فَلاَ يَشْهَدْ لِنَفْسِه حَمْدَاً بَلْ يَشْهَدُهُ كُلُّهُ لله كَمَا يَشْهَدُ النِّعْمَةَ كُلَّهَا مِنْه وَالفَضْلَ كُلُّهُ لَهُ وَالخَيْرَ كُلُّهُ فِي يَدِهِ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيْدِ فَلاَ يَسْتَقِرُّ قَلْبُه فِي مَقَامِ التَّوحِيدِ إِلاَّ بِعِلْمِ ذَلِكَ وَشُهُودِهِ فَإِذَا عَلِمَهُ وَرَسَخَ فِيه صَارَ لَهُ مَشْـــهَدَاً وَإِذَا صَـــارَ لِقَلْبِه مَشْهَدَاً أَثْمَرَ لَهُ مِنَ المَحَبَةِ وَالأُنْسِ بِاللهِ وَالشَّوقَ إِلَى لِقَائِه وَالتَّـــنَعُمِ بِذِكْـــرِهِ وَطَاعَتِه مَالاَ نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْلَى نَعِيمِ البَتَّهَ . وَمَا لِلمَرْءِ خَيْرٌ فِي

---

[1] سورة النحل – آية (٥٣) .

[2] سورة الحجرات – آية (٧) .

حَيَاتِـــهِ إذَا كَانَ قَلْبُهَ عَنْ هَذَا مَصْدُوْدَاً وَطَرِيْقَ الوصُول إليهِ عَنْهُ مَسْدُوْدَاً بَلْ هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

المشهد السادس : رؤية التقصير :

وَهُــوَ أنَّ العَــبْدَ لَــو اجْتَهَد فِي القِيَامِ بِالأَمْرِ غَايَةَ الاجْتِهَاد وَبَذَلِ وُسْعَهُ فَهُوَ مُقَصِّرٌ وَحَقُ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ والَّذِي يَنْبَغي أَنْ يُقَابِلَهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالعُبُودِيةِ فَــوْقَ ذَلِــكَ بِكَــثِيرٍ وَأَنَّ عَظَمَــتُهَ وَجَلاَلُــه سُبْحَانَهُ يَقْتَضِى مِنَ العُبودِيَّةِ مَا يَلِيْقُ بِهِمَــا وَإِذَا كَــانَ خَــدَمُ المُــلُوكِ يُعَامِــلُونَهم فِــي خِدْمَتِهِمْ بِالإِجْلاَل لَهُمَ وَالتَّعْظِيْمِ وَالاِحْــترامِ وَالــتَّوقِيرِ وَالحَيَــاءِ وَالمَهَابَةِ وَالخَشْيَةِ وَالنُّصْحِ بِحَيْثُ يُفَرِّغُونَ قُلُوبَهُمْ وَجَوارِحَهُــمْ لَهُمْ فَمَالِكُ المُلُوكِ وَرَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَولَى أَنْ يُعَامَلَ بِأَضْعَافِ ذَلِكَ وإِذَا شَهِدَ العَبْدُ مِنْ نَفسهِ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ لِربِّهِ فِي عُبُودِيَّتِه حَقَّهُ وَلاَ قَرِيْبَاً مِنْ حَقِّه عَــلِمَ تَقْصِــيْرَهُ وتَفْــرِيْطَهُ وَعَدَمِ القِيَامِ بِمَا يَنْبَغِيْ لَهُ مِنْ حَقِّه وَإِنَّهُ إِلَى أَنْ يَغفِرَ لَهُ العُــبُودِيَّةَ وَيَعفُو عَنْهُ فِيْهَا أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَطْلُبُ مِنْهُ عَلَيْهَا ثَوَابَاً . وَهَوْ لَوْ وَفَّاهَا حَقَّهَا لَكَانَتْ مُسْتَحَقَةً عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى العُبُودِيَّة . فَإِنَّ خِدمَةَ العَبْدِ وَعَمَلَهُ لِسَيِّدِه مُسْتَحَقٌ عَــلَيْهِ بِحُكْــمِ كَوْنِه خَادِمَهُ وَمَمْلُوكَهَ فَإِذَا طَلَبَ مِنْهُ الأُجْرَةَ عَلَى عَمَلِه وَخِدمَتِه لَعَدَّهُ الــنَّاسُ أَحْمَقَ أَخْرَقَ وَهَذَا لَيْسَ هُوَ مَالِكَهُ عَلَى الحَقِيْقَةِ بَلْ هُوَ عَبْدُالله وَمَمْلُوكِهِ عَلَى الحَقِيْقَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ .

فَعَمَلُهُ وَخِدمَتُهُ مُستَحَقُ عَلَيهِ بِحُكْمِ كَونِه عَبْدَهُ فَإِذَا أَثَابَهُ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ مُجَرَّدَ فَضْــلٍ وَمِــنَّةٍ وَإِحْسَــانٍ مِــنْه إِليه لاَ يَسْتَحِقُهُ العَبْدَ وَمَنْ هُنَا كَانَ قَولُ النَّبِي ﷺ

[1] سورة الحجر – آية (٣) .

(يَسِّــرُوا وَقَارِبُوا وَبَشِّرُوا فَإِنَّه لاَ يُدخِلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلَهُ قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ)[١] .

وَمَنْ عَلِمَ هَذَا عَلِمَ السِرَّ فِي كَوْنِ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ تُخْتَمُ بِالإِسْتِغْفَارِ .

---

[١] أخرجه أحمد (٦/١٢٥) والبخاري (١١/٢٩٤) ومسلم (٨/١٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وفــي صَحِيْحِ مُسْلِمْ عَنْ ثوبَانَ قَالَ (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا سَلَّمَ مِنْ صَلاَتهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثَاً وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَم وَمِنْكَ السَّلاَمَ تَبَارَكْتَ يَاذَا الْجَلاَلِ وَالإكْرَامِ)[1]

قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2]

فَأَخْــبَرَ عَــنِ اسْتَغْفَارِهِم عقِبَ صَلاَةِ اللَّيْلِ وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بالاِسْتِغْفَارِ عقِبَ الإِفَاضَةِ فِي الحَجِ فقَالَ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]

وَشُــرِعَ لِلمُتَوضِئِ أَنْ يَقُولَ بَعَدْ وضُوئه (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَوَّابِيْنَ وَاجْعَلْنِي مِــنَ المُتَطهرِينْ) فَهَذِهِ تَوْبَةُ بَعْدَ الوُضُوءِ وَتَوْبَةُ بَعْدَ الحَجِّ وَتوبَةُ بَعْدَ الصَّلاَةِ وَتَوْبَةُ بَعْــدَ قِيَامِ اللَّيْلِ وَبِالجُمْلَةَ فَهَذا حَالُ هَذَا العَبْدُ مَعَ رَبِهِ فِي جَمِيْعِ أَعْمَاله فَهُو يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُوَفــيِّ هَــذَا المقَامَ حقَّهُ فَهُوَ أَبَداً يَسْتَغْفِرُ الله عقِبَ كُلِّ عَمَلٍ وكُلَّمَا كَثُرَتْ طَاعَاتَه كَــثُرَتْ تَوْبَــتُهُ وَاسْتغْفَارِهِ . فَإِذَا اسْتَحْضَرَ العَبْدُ المُحِبُّ هَذِهِ المَشَاهدَ وَصلَّى صَلاَةَ مُودِّعٍ[4] فَإِنَّهُ يَنْصَرِفُ مِنْ الصَّلاَةِ وَقَد أَثَّرَتْ فِي قَلْبِهِ وَبَدَنِه وَسَائِرَ أَحْوَالهِ آثَاراً تَبْدُو عَــلَى صَــفَحَاتِهِ وَلِسَانِه وَجَوارِحِه وَيَجِدُ ثَمرَتَهَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الإنَابة إلى دَار الخُلُود والــتَّجَافِي عَــنْ دَارِ الغُــرُوْرِ وَقِلَّةِ التَكالُبِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُنْيَا وَعَاجِلهَا قَدْ نَهتَهُ صَلاَتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَحَبَّبَتْ إِلَيْه لِقَاءَ الله وَنَفَّرَتْهُ مِنْ كُلِّ قَاطِعٍ عَنِ الله فَهُوَ مَغْمُــومُ مَهْمُــومُ كَأَنَّــهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى تَحْضُرَ الصَّلاَةَ فَإِذَا حَضَرَتْ قَامَ إِلَى نَعِيْمِه

---

[1] أخرجه أحمد (٥/٢٧٥ و ٢٧٩ – ٢٨٠) ومسلم (٢/٩٤) والترمذي (٢٩٩) والنسائي (٣/٦٨) .

[2] سورة الذاريات – آية (١٧ – ١٨) .

[3] سورة البقرة – آية (١٩٩) .

[4] عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي فقال : يا رسول الله أوصني فقال (عليك بالإياس عما في أيدي الناس وإيــاك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما تعتذر منه) أخرجه الحاكم (٤/٣٢٦-٣٢٧) وصححه ووافقه الذهبي .

وَسُـــرُوْرِهِ وَقُرَّةَ عَيْنِهِ وَحَيَاةَ قَلْبِهِ . فَهُوَ لاَ تَطِيبَ لَهُ الحَيَاةَ إلاَّ بِالصَّلاَةِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَخَافُ أَنْ لا تُقبلَ مِنْهُ .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِ ﷺ قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[1]

قَالَتْ عَائِشَةَ : أَهُمُ الَّذِيْنَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُوْنَ ؟ قَالَ لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيْقِ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِيْنَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّوْنَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلاَّ يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ أُولئكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُوْنَ بِالخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)[2] وَالحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا أَمْرَانِ : -

أَحَدُهُمَا : شُهُوْدُ تَقْصِيْرِهِ وَنُقْصَانِهِ .

وَالـثَانِي : صِدْقُ مَحبتَه فَإِنَّ المُحِبَّ الصَّادِقَ يَتَقَرَّبُ إِلى مَحْبُوبِهِ بِغَايَةِ إِمْكَانِه وَهُــوَ مُعْــتَذِرٌ إِلَيْــهِ مُسْتَحٍ مِنْهُ ، أَنْ يُوَاجِهَهُ بِمَا وَاجَهَهُ بِهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّ قَدْرَهُ فَوْقَهُ وَأَجَلَّ مِنْهُ وَهَذَا مُشَاهَدُ فِي مَحَبَةِ المَخْلُوقِيْنَ فَلْنَحْرِصْ عَلَى إِعْطَاءِ الصَّلاَةِ حَقَّهَا مِنَ الـــتَّكْمِيْلِ ظَاهِــرَاً وَبَاطِناً (فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيْراً عَجِيْبَاً فِي دَفْعِ شُرُوْرِ الدُّنْيَا) فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُــرُوْرُ الدُّنْيَــا وَالآخِرَةِ وَلاَ اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحَهَا بِمِثْلِ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا مَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ وَدَافِعَــةٌ لأَدْوَاءِ القُــلُوبِ وَمَطْــرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ وَمُنَوِّرَةٌ لِلْقَلْبِ وَمُبَيِّضَةٌ لِلْوَجْهِ وَمُنَشِّــطَةٌ لِــلْجَوَارِحِ وَالنَّفْسِ وَجَالِبَةٌ لِلرِّزْقِ وَدَافِعَةٌ لِلظُّلْمِ وَنَاصِرَةٌ لِلْمَظْلُوْمِ وَقَامِعَةٌ لأَخْلاَطِ الشَّهَوَاتِ وَحَافِظَةٌ لِلنِّعْمَةِ وَدَافِعَةٌ لِلنِّقْمَةِ وَمُنَزِّلَةٌ لِلرَّحْمَةِ وَكَاشِفَةٌ لِلغُمَّةِ (وَهِيَ حَافِظَةٌ لِلصِّحَةِ مُفْرِحَةٌ لِلنَّفسِ مُذْهِبَةٌ لِلكَسَلِ مُمِدَّةٌ لِلقُوَى شَارِحَةٌ لِلصَّدْرِ مُغَذِّيَةٌ لِلرُّوحِ جَالِــبَةٌ لِلْبَرَكَةِ مُبْعِدَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مُقَرِّبَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) وَبِالجُمْلَةِ فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيْرٌ عَجِيْبٌ

---

[1] سورة المؤمنون – آية (٦٠) .

[2] أخرجه أحمد (١٥٩/٦ و ٥) وابن جرير (٢٦/١٨) والترمذي (٣١٧٥) والبغوي في تفسيره (٣١٢/٣) والحاكم (٣٩٣/٢-٣٩٤) وصححه ووافقه الذهبي .

فـي حفظ صحَّةَ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ وقُواهُمَا وَدَفْعِ المَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا وَمَا ابتُلِي رَجُلاَنِ بِعَاهَـةٍ أَوْ دَاء أَوْ مِحْـنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ إِلاَّ كَانَ حَظُ المُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَل وَعَاقِبَتُهُ اسلَمُ وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الصَّلاَةَ صِلَةٌ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى قَدْرِ صِلَةِ العَبْدِ بِرَبِهِ عَزَّ وَجَلَّ تَفْتَحُ عَلَيْهِ الخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا وَتَقْطَعُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُوْرِ أَسْبَابُهَا وَتَفِيْضُ عَلَيْهِ مَوَادُ التَّوْفِيْقِ مِنْ رَبِّهِ عَـزَّ وَجلْ وَالْعَافِيَةِ والصِّحَةِ وَالغَنِيْمَةِ وَالغِنَى وَالرَّاحَةِ والنَّعِيْمِ وَالأَفْرَاحِ والمَسَرَّاتِ كُـلِّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ (وَأعلَمْ يَا أَخِي بِأَنَّ لِلعَبْدِ بَيْنَ يَدَي اللهِ مَوقِفَيْنِ : مَوقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلاَةِ وَمَوقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِهِ فَمَنْ قَامَ بِحَقِ المَوْقِفِ الأَوَّلِ هُـوِّنَ عَـلَيْهِ المَوْقِفَ الآخِرِ وَمَن اسْتَهَانَ بِهَذَا المَوْقِفِ وَلم يُوَفِّهِ حَقَّهُ شُدِّدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ المَوْقِفُ) قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[1] ولَـوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ثَمَرَاتِ الصَّلاَةِ الخَاشِعَةِ إِلاَّ أَنَّهَا تُثْمِرُ الشَّوقَ الَّذِيْ هُوَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ صَلاَةِ المُحِبِيْنَ .

١ - **فَالشَّوقُ**[2] إِلى لِقَـاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ أَرفَعُ دَرَجَاتِ النَّعِيمْ وَغَايَةَ الأَمَانِي لِكُـلِّ قَلْبٍ سَلِيْمٍ وَمَنْ مُنِحَ الشَّوقَ انقَطَعَتْ عَنْهُ حَاجَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَوْلاَهُمْ بِاللهِ أَشَدُهُمْ لَهُ شَوقَاً . وَأَعلَمْ بِأَنَّ الشَّوقَ إِلى لِقَاءِ اللهِ يَنْشَأُ مِنْ قُوَّةِ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ الحَامِلَ عَلَى الشَّوقِ هُوَ المَحَبَةُ وَلِهَذَا يُقَالُ لِمَحَبَّتِي لَهُ اشْتَقْتُ إِلَيْهِ وَأَحْبَبْتُه فَاشْتَقْتُ إِلى لِقَائِهِ . فَالمَحَبَةُ بَذْرٌ فِي القَلْبِ وَالشَّوقُ بَعضُ ثَمَرَاتِ ذَلِكَ البَذْرِ . فَمَنْزِلَةُ الشَّوقِ مِنَ المَحَبَّةِ مَنْزِلَةُ الهَرَبِ مِنَ البَغْضَاءِ وَالكَرَاهَةِ فَإِنَّ القَلْبَ إِذَا أَبْغَضَ الشَّيءِ وَكَرِهَهُ جَدَّ فِـي الهَـرَبِ مِنْهُ وَإِذَا أَحبَّهُ جَدَّ فِي الهَرَبِ إِلَيْهِ وَطَلَبِهِ فَهُوَ حَرَكَةُ القَلْبِ فِي الظَّفَرِ بِمَحْـبُوبِهِ وَلِشِدَّةِ ارْتِبَاطِ الشَّوقِ بِالمَحَبَّةِ يَقَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوقِعَ صَاحِبِهِ وَيُفْهَمُ مِنْهُ

---

[1] سورة الإنسان – الآية (٢٦ – ٢٧) .

[2] قــال ابن رجب رحمة الله في شرح حديث عمار بن ياسر (أما الشوق إلى لقاء الله في الدنيا فهو أعظم لذة تحصل للعارفين في الدنيا فمن أنس بالله في الدنيا واشتاق إلى لقائه فقد فاز بأعظم لذة يمكن لبشر الوصول إليها في هذه الدار

وَيُعَبِّرُ بِه عَنْهُ وَبِالجُمْلَةِ فَقَلْبُ المُحِب دَائِماً فِي سَفَرٍ لاَ يَنْقَضِي نَحْوَ مَحْبُوبِه كُلَّمَا قَطَعَ مَرْحَلَةً وَمَنْزِلَةً تَبَدَّتْ لَهُ أُخْرَى كَمَا قِيلَ (إذَا قَطَعْتَ عَلَماً بَدَا عَلَمُ) فَقُوَّةُ تَعَلُّقِ المُحِب بِمَحْـبُوبِه تُوْجِبُ لَهُ أَنْ لاَّ يَسْتَقِرَّ قَلْبُهُ دُوْنَ الوُصُوْلِ إلَيْهِ وكُلَّمَا هَدَأَتْ حَرَكَاتُهُ وَقَلَّتْ شَوَاغِلُهُ اجْتَمَعَتْ عَلَيْه شُؤُونُ قَلْبِه بَلْ قَوِيَ سَيْرُهُ إلى مَحْبُوبِه فَعَنْ عَطَاءِ بنِ السَّائِبِ عَـنْ أَبِيــه قَالَ صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ صَلاَةً فَأَوْجَزَ فِيْهَا فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ : لَقَدْ خَفَّفْـتَ أَوْ أَوْجَزْتَ[1] الصَّلاَةَ فَقَالَ (أَمَّا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ دَعَوْتُ فِيْهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِـنْ رَسُوْلِ الله ﷺ فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِه – فَسَـأَلْتُهُ عَنِ الدُّعَاءِ ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِه القَوْمَ (اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِـنِي مَـا عَـلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرَاً لِيَ وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرَاً لِيَ اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ والرِّضَى وأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَي وَأَسْأَلُكَ نَعِيْماً لاَ يَبِيْدُ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَـاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إلَى لِقَـائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ [2] (اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِيْنَةِ الإيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ)[3] فَجَمَعَ فِي هَذَا الدُّعَاءِ العَظِيْمِ القَدْرَ ، بَيْنَ أَطْيَبِ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الشَّـوْقَ إلَى لِقَائِه سُبْحَانَهُ وَأَطْيَبَ شَيْءٍ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ النَّظَرُ إلى وَجْهِه سُبْحَانَهُ . وَلَمَّــا كَانَ ذَلِكَ وَتَمَامُهُ مَوْقُوْفاً عَلَى عَدَمِ مَا يَضُرُّ فِي الدُّنْيَا وَيَفْتِنَ فِي الدِّيْنِ قَالَ (فِي

---

[1] والـتخفيف والإيجـاز هو على عرف السلف الصالح لأعلى عرف الخلف ، أي خفف وأوجز في القراءة وأتم وأحسن ورتل القرآن ترتيلاً وأتم الركوع والسجود والاعتدالين .

[2] وإنمـا قال في غير ضراء مضرة ولا فتنة والله أعلم لأن محبة الله ولقائه وهو محبة الموت تصدر غالباً إما عن ضراء وهي ضراء الدنيـا وقد نُهي عن تمني الموت حينئذ وإما من فتنة مضلة وهي خشية الفتنة في الدين وهو غير منهي عنه في هذا الحال والمسؤول هاهنا الشوق إلى لقاء الناشيء عن غير هذين الأمرين بل عن محض المحبة .

[3] أخـرجه أحمـد (٤/٢٦٤) والنسائي (٣/٥٤-٥٥) والحاكم (١/٥٢٤) وصححه ووافقه الذهبي فمن منا يدعو بهذا الدعاء النبوي الشريف في صلاته .

غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ) وَلَمَّا كَانَ كَمَالُ العَبْدِ فِي أَنْ يَكُونَ عَالِماً بِالحَقِّ مُتَّبِعاً لَهُ مُعَلِّماً لِغَيْرِهِ مُرْشِداً لَهُ قَالَ : (وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ) . وَلَمَّا كَانَ الرِّضَى المُحَصِّلُ لِلْمَقْصُودِ هُوَ الرِّضَى بَعْدَ وُقُوعِ القَضَاءِ لاَ قَبْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ عَزْمٌ عَلَى الرِّضَى. فَإِذَا وَقَعَ القَضَاءُ انْفَسَخَ ذَلِكَ العَزْمُ وَسَأَلَ الرِّضَى بَعْدَهُ فَإِنَّ المَقْدُورَ يَكْتَنِفُهُ أَمْرَانِ :

١ – **الاستخارة قبل وقوعه**[1] وَالرِّضَى بَعْدَ وُقُوعِهِ فَمِنْ سَعَادَةِ العَبْدِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا وَلَمَّا كَانَتْ خَشْيَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ فِي المَشْهَدِ وَالمَغِيْبِ سَأَلَهُ خَشْيَتَهُ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِنَّمَا يَتَكَلَّم بِالحَقِّ فِي رِضَاهُ فَإِذَا غَضِبَ أَخْرَجَهُ غَضَبُهُ إِلى البَاطِلِ وَقَدْ يُدْخِلُهُ أَيْضاً رِضَاهُ فِي البَاطِلِ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوفِّقَهُ لِكَلِمَةِ الحَقِ فِي الغَضَبِ والرِّضَا وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ (لاَ تَكُن مِمَّنْ إِذَا رَضِيَ أَدْخَلَهُ رِضَاهُ فِي البَاطِلِ وَإِذَا غَضِبَ أَخْرَجَهُ غَضَبُه مِنَ الحَقِ) وَلَمَّا كَانَ الفَقْرُ وَالغِنَى بَلِيَّتَيْنَ وَمِحْنَتَيْنِ يَبْتَلِي بِهِمَا عَبْدَهُ فَفِي الغِنَى يَبْسُطُ يَدَهُ وَفِي الفَقْرِ يَقْبِضُهُمَا سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ القَصْدَ فِي الحَالَيْنِ وَهُوَ التَّوَسُّطُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ إِسْرَافُ وَلاَ تَقْتِيْرُ وَلَمَّا كَانَ النَّعِيْمُ نَوْعَيْنِ : نَوْعاً لِلْبَدَنِ وَنَوْعاً لِلْقَلْبِ وَهُوَ قُرَّةُ العَيْنُ . وَكَمَالُهُ بِدَوَامِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ (أَسَأَلُكَ نَعِيْماً لاَ يَبِيْدَ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعَ وَلَمَّا كَانَتِ الزِّيْنَةُ زِيْنَتَيْنِ : زِيْنَةَ البَدَنِ وَزِيْنَةَ القَلْبِ وَكَانَتْ زِيْنَةُ القَلْبِ أَعْظَمَهُمَا قَدْراً وَأَجَلَّهَا خَطَراً وَإِذَا حَصَلَتْ زِيْنَةَ البَدَنِ عَلَى أَكْمَلِ الوُجُوْهِ فِي العُقْبَى سَأَلَ رَبَّهُ الزِّيْنَةَ البَاطِنَةَ فَقَالَ (زَيِنَّا بِزِيْنَةِ الإِيْمَانِ) وَلَمَّا كَانَ العَيْشُ فِي هَذِهِ الدَّارُ لاَ يَبْرُدُ

[1] اعلم رحمك الله بأنه يُشرع للمسلم الاستخارة في جميع الأمور فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم ، فعن جابر ﷺ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة في القرآن (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول اللهم أني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به ويسمى حاجته) أخرجه البخاري (٦٣٨٢) .

فَـإِذَا فَـاتَتِ العَـبْدُ نِعْمَـةٌ مِـنْ نِعَمِ رَبِّهِ فَلْيَقْرَأْ عَلَى نَفْسِهِ (أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّـاكِرِين) وَإِذَا كَانَ الشَّوقُ هُوَ سَفَرُ القَلْبِ فِي طَلَبِ مَحْبُوبِهِ وَتَشَوُّقِهِ إِلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَشْـرَفِ مَقَامَـاتِ العَبِيْدِ وَأَجَلِّهَا وَأَعْلاَهَا ، وَمَنْ أَنْكَرَ شَوقَ العَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فَقَدْ أَنْكَرَ مَحَبَّـتَهُ لَهُ لأَنَّ المَحَبَّةَ تَسْتَلْزِمُ الشَّوقَ ، فَالمُحِبُ دَائِماً مُشْتَاقٌ إِلَى لِقَاءِ رَبِهِ وَمَحْبُوبِهِ لاَ يَهْـدَأُ قَلْـبُهُ وَلاَ يَقَـرُّ قَـرَارُهُ إِلا بِالوُصُـولِ إِلَيْهِ . وَمَحَكُّ هَذَا الحَالِ يَظْهَرُ فِي مَوَاطِنَ أَرْبَعَةٍ هِي : -

المَوْطِنُ الأَوَّلُ :

عِنْدَ أَخْذِ مَضْجَعِهِ وَتَفَرُّغِ حَوَاسِّهِ وَجَوَارِحِهِ مِنْ الشَّوَاغِلِ وَاجْتِمَاعِ قَلْبِهِ عَلَى مَا يُحِبُهُ فَإِنَّهُ لاَ يَنَامُ إِلاَّ عَلَى ذِكْرِ مَنْ يُحِبُهُ وَشُغْلِ قَلْبِهِ بِهِ . فَهَلْ أَنْتَ أَيُّهَا المُسْلِمُ تَنَامُ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ؟

المَوْطِنُ الثَّانِي :

عِـنْدَ انْتِـبَاهِهِ مِنَ النَّوْمِ فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَسْبِقُ إِلَى قَلْبِهِ ذِكْرُ مَحْبُوبِهِ . فَهَلْ أَنْتَ تَسْتَيْقِظُ عَلَى أَذْكَارِ البَعْثِ مِنَ النَّومِ ؟

المَوْطِنُ الثَّالِثُ :

عِنْدَ دُخُولِهِ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا مَحَكُّ الأَحْوَالِ وَمِيْزَانُ الإِيْمَانِ بِهَا يُوزَنُ إِيْمَانُ الـرَّجُلِ وَيَتَحَقَّقُ حَالُهُ وَمَقَامُهُ وَمِقْدَارُ قُرْبِهِ مِنْ اللهِ وَنَصِيبِهِ مِنْهُ فَإِنَّهَا مَحَلُ المُنَاجَاةِ وَالقُـرْبَةِ وَلاَ وَاسِـطَةَ فِيهَـا بَيْـنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رَبِهِ فَلاَ شَيْءَ أَقَرَّ لِعَيْنِ المُحِبِ وَلاَ أَلَـذَّ لِقَلْـبِهِ وَلاَ أَنْعَـمَ لِعَيْشِـهِ مِنْهَا إِذَا كَانَ مُحِباً فَإِنَّهُ لاَ شَيْءَ آثَرَ عِنْدَ المُحِبِ وَلاَ أَطْيَـبَ لَـهُ مِنْ خَلْوَتِهِ بِمَحْبُوبِهِ وَمُنَاجَاتِهِ لَهُ وَمُثُولِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أَقْبَلَ مَحْبُوبُهُ عَلَيْهِ وَكَـانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُعَذَّباً بِمُقَاسَاةِ الأَغْيَارِ وَمُوَاصَلَةِ الخَلْقِ وَالاشْتِغَالِ بِهِمْ فَإِذَا قَامَ إِلَى

لأَحَـدٍ كَائِـنَاً مَـنْ كَـانَ بَـلْ هُـوَ مَحْشُـوٌ بِالغُصَـصِ وَالنَّكَدِ وَمَحفُوفٌ بِالآلاَمِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ .

سَـأَلَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوتِ وَالمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِي ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ شَـوقَاً إِلَى لِقَائِـهِ مُصَاحِباً لِلْعَافِيَةِ وَالهِدَايَةِ فَلاَ تَصْحَبُهُ فِتْنَةٌ وَلاَ مِحْنَةٌ وَهَذَا مِنْ أَجَلِّ العَطَايَا وَالمَوَاهِبِ فَإِنَّ كَثِيْرَاً مِمَّنْ يَحْصُلُ لَهُ هَذَا لاَ يَنَالُهُ إِلاَّ بَعْدَ امْتِحَانٍ وَاخْتِبَارٍ هَلْ يَصلُحُ أَمْ لا ؟ وَمَنْ لَمْ يَمْتَحِنْ وَلَمْ يَخْتَبِرْ فَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يُؤَهَّلْ لِهَذَا فَتَضَمَّنَ هَذَا الدُّعَاءَ : حُصُولُ ذَلِكَ وَالتَّأْهِيلَ لَهُ مَعَ كَمَالِ العَافِيَةِ بِلاَ مِحْنَةٍ وَالهِدَايَةِ بِلاَ فِتْنَةٍ وَبِاللهِ التَّوْفِيْقِ .

وَهَـذَا الشَّـوقُ مَشْحُونٌ بِالبِرِّ فَيَفْعَلُ – أَيِّ المُحِب – البِرَّ تَقَرُّبَاً إِلَى مَنْ هُوَ مُشْتَاقٌ فَهُوَ مُجَيَّشٌ بِأَنْوَاعِ البِرِّ . وَهَذِهِ مِنْ فَوَائِدِ المَحَبَّةِ أَنَّ قَلْبَ صَاحِبِهَا تَغْشَاهُ مَبَارُّ اللهِ وَنِعَمَـهُ عَـلَى الـدَّوَامِ فَالشَّوقُ يَحْمِلُ المُشْتَاقَ عَلَى الجِدِّ فِي السَّيْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَيُقَـرِّبُ عَلَيْهِ الطَّرِيْقَ وَيَطْوِي لَهُ البَعِيْدَ وَيُهَوِنُ عَلَيْهِ الآلاَمَ وَالمَشَاقَ وَهُوَ رَأْسُ مَالِ العَـبْدِ وَمَـلاَكُ أَمْـرِهِ وَقَـوامُ حَيَاتِـهِ الطَّيِّبَةِ وَاصِلُ سَعَادَتِهِ وَفَلاَحِهِ وَنَعِيْمِهِ وَقُرَّةَ عَيْـنِهِ الـبَاعِثِ عَـلَى كَمَـالِ الاسْـتِعْدَادِ وَعَـلَى خِفَّةِ أَعْبَاءِ السَّيْرِ وَالمُزِيْلِ لِكُلِّ فُـتُورٍ والحَـامِلِ عَلَى كُلِّ صِدْقٍ وَإِخْلاَصٍ وَإِنَابَةٍ وَصِحَّةٍ وَمُعَامَلَةٍ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ .

وَلَكِـنَّ هَـذِهِ النِّعْمَةَ أَقْوَالُ وَأَعْمَالُ وَهُمَا السَّبَبَ الَّذِي تُنَالُ بِهِ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ سَمِيْعٌ لِتِلْكَ الأَقْوَالِ ، عَلِيْمٌ بِتِلْكَ الأَفْعَالِ ، وَهُوَ عَلِيْمٌ بِمَنْ يَصلُحُ لِهَذِهِ النِّعْمَةَ وَيَشْكُرُهَا وَيَعْـرِفَ قَدْرَهَـا وَيُحِبَّ المُنْعِمَ عَلَيْهِ فَتَصلُحُ عِنْدَهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَيَصلُحُ بِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1]

---

[1] سورة الأنعام – آية (٥٣) .

الصَّلاَةِ هَرَبَ مِنْ سِوَى اللهِ إِلَيْهِ وَآوَى عِنْدَهُ وَاطْمَأَنَّ بِذِكْرِهِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِالمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمُنَاجَاتِهِ فَلاَ شَيْءَ أَهَمَّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلاَةِ كَأَنَّهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ وَغَمٍّ حَتَّى تَحْضُرَ الصَّلاَةَ فَيَجِدُ قَلْبَهُ قَدِ انْفَتَحَ وَانْشَرَحَ وَاسْتَرَاحَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلاَلٍ (يَا بِلاَلُ أَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ) وَلَمْ يَقُلْ أَرِحْنَا مِنْهَا كَمَا يَقُولُ المُبْطِلُونَ الغَافِلُونَ فَالصَّلاَةُ قُرَّةُ عُيُونِ المُحِبِّينَ وَسُرُورُ أَرْوَاحِهِمْ وَلَذَّةُ قُلُوبِهِمْ وَبَهْجَةُ نُفُوسِهِمْ يَحْمِلُونَ هَمَّ الفَرَاغِ مِنْهَا إِذَا دَخَلُوا فِيهَا كَمَا يَحْمِلُ الفَارِغُ البَطَّالُ هَمَّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا بِسُرْعَةٍ فَلَهُمْ فِيهَا شَأْنٌ وَلِلنَّقَّارِينَ شَأْنٌ يَشْكُونَ إِلَى اللهِ سُوءَ صَنِيعِهِمْ بِهَا إِذَا ائْتَمُّوا بِهِمْ كَمَا يَشْكُو الغَافِلُ المُعْرِضُ تَطْوِيلَ إِمَامِهِ فَسُبْحَانَ مَنْ فَاضَلَ بَيْنَ النُّفُوسِ وَفَاوَتَ بَيْنَهَا هَذَا التَّفَاوُتَ العَظِيمَ . وَبِالجُمْلَةِ فَمَنْ كَانَ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةِ فَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَلاَ أَنْعَمَ عِنْدَهُ مِنْهَا وَيَوَدُّ أَنْ لَوْ قَطَعَ عُمْرَهُ بِهَا غَيْرَ مُنْشَغِلٍ بِغَيْرِهَا وَإِنَّمَا يُسَلِّي نَفْسَهُ إِذَا فَارَقَهَا بِأَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَيْهَا عَنْ قُرْبٍ فَهُوَ دَائِماً يَثُوبُ إِلَيْهَا وَلاَ يَقْضِي مِنْهَا وَطَراً فَلاَ يَزِنُ العَبْدُ إِيمَانَهُ وَمَحَبَّتَهُ للهِ بِمِثْلِ مِيزَانِ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا المِيزَانُ العَادِلُ الَّذِي وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ .

المَوْطِنُ الرَّابِعُ :

عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالأَهْوَالِ فَإِنَّ القَلْبَ فِي هَذَا المَوْطِنِ لاَ يَذْكُرُ إِلاَّ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ وَلاَ يَهْرُبُ إِلاَّ إِلَى مَحْبُوبِهِ الأَعْظَمِ عِنْدَهُ . وَالسِّرُّ فِي هَذَا – وَاللهُ أَعْلَمُ – إِنَّ عِنْدَ المَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ وَالأَهْوَالِ يَشْتَدُّ خَوْفُ القَلْبِ مِنْ فَوَاتِ أَحَبِّ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ وَهِيَ حَيَاتُهُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يُؤْثِرُهَا إِلاَّ لِقُرْبِهِ مِنْ مَحْبُوبِهِ فَهُوَ إِنَّمَا يُحِبُّ حَيَاتَهُ لِتَنَعُّمِهِ بِمَحْبُوبِهِ فَإِذَا خَافَ فَوَاتَهَا بَدَرَ إِلَى قَلْبِهِ ذِكْرُ المَحْبُوبِ الَّذِي يَفُوتُ بِفَوَاتِ حَيَاتِهِ . وَلِهَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ كَثِيراً مَا يَعْرِضُ لِلعَبْدِ عِنْدَ مَوْتِهِ لَهْجَةٌ بِمَا يُحِبُّهُ وَكَثْرَةُ ذِكْرِهِ لَهُ وَرُبَّمَا خَرَجَتْ رُوحُهُ وَهُوَ يَلْهَجُ بِهِ . عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ

بِنْتاً لَهُ تَقْضِي[١] فَاحْتَضَنَهَا فَوَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَمَاتَتْ وَهِيَ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَصَاحَتْ أُمُّ أَيْمَنَ : فَقِيلَ أَتَبْكِي عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ أَلَسْتُ أَرَاكَ تَبْكِي يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ (لَسْتُ أَبْكِي إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إِنَّ نَفْسَهُ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ[٢] اللهَ عَزَّ وَجَلَّ[٣] .

وَذَكَرَ ابنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ (كِتَابُ الْمُحْتَضَرِينَ) عَنْ زَخْرٍ أَنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ: لَهَا ثَلاَثَةُ أَخْمَاسِ الصَّدَاقِ لَهَا رُبْعُ الصَّدَاقِ لَهَا كَذَا ، وَمَاتَ لامْتِلاءِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ الفِقْهِ وَالعِلْمِ ، وَأَيْضاً فَإِنَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ تَنْقَطِعُ شَوَاغِلَهُ وَتَبْطُلُ حَوَاسَّهُ فَيَظْهَرُ مَا فِي القَلْبِ وَيَقْوَى سُلْطَانُهُ فَيَبْدُوا خَافِيَةٌ مِنْ غَيْرِ حَاجِبٍ وَلاَ مُدَافِعٍ وَكَثِيْراً مَا سُمِعَ مِنْ بَعْضِ الْمُحْتَضَرِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ شَاه مَاتْ[٤] وَسُمِعَ مِنْ آخَرِ بَيْتَ شِعْرٍ لَمْ يَزَلْ يُغَنِّي بِهِ حَتَّى مَاتَ وَكَانَ مُغَنِّيَاً .

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ (وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَ بَعْضَ الشَّحَاذِيْنَ عِنْدَ مَوْتِهِ فَجَعَلَ يَقُولُ للهِ فِلْس للهِ ، فِلْس للهِ ، حَتَّى قَضَى ، وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ عَنْ قَرَابَةٍ لَهُ أَنَّهُ حَضَرَهُ عِنْدَ المَوْتِ وَكَانَ تَاجِراً يَبِيْعُ القُمَاشَ فَجَعَلَ يَقُولُ – هَذِهِ قِطْعَةٌ جَيِّدَةٌ – هَذِهِ عَلَى قَدْرِكَ ،هَذِهِ مُشْتَرَاهَا رَخِيصٌ يُسَاوِي كَذَا وَكَذَا حَتَّى مَاتَ ، وَالحِكَايَةُ فِي هَذَا كَثِيْرَةٌ جِدّاً فَمَنْ كَانَ مَشْغُولاً بِاللهِ وَبِذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ وَجَدَ ذَلِكَ أَحْوَجَ مَا هُوَ إِلَيْهِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ إِلَى اللهِ[٥] وَيَقْدُمُ عَلَى اللهِ تَعَالَى قُدُومَ

---

[١] أي في سكرات الموت .

[٢] قال المناوي في القبض (٢٥٤/٦) لأن الدنيا سجنه وأمنية المسجون إخراجه من سجنه فعينه ممتدة إلى باب السجن فإذا استشرف الإذن له بالخروج حمد الله على خلاصه من السجن وشوق إلى ربه .

[٣] أخرجه أحمد (٢٧٣/١-٢٧٤ و ٢٩٧) والنسائي (١٢/٤) والبزار (٨٠٨) بسند صحيح .

[٤] لأنه كان مشغولاً بلعب الشطرنج .

[٥] كما في قوله صلى الله عليه وسلم (الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها

العَــبدَ المُحْســنِ المُشْتَاق إلَى مَوْلاَهُ الَّذِي تَحَمَّلَ مَشَاقَّ الأعْمَال ووَعْثَاء السَّفَرِ طَمَعَاً فِي لِقَائِه فَلاَ يَخْفَى مَا يَلْقَاهُ مِنَ الفَرَحِ والسُرُورِ بِمُجَرَّدِ القُدُومِ فَضْلاً عَمَّا يَسْتَحِقُه مِنْ لَطَائِفِ الإكْرَامِ وبَدَائِعِ الأَنْعَامِ.

وَمَــنْ كَــانَ مَشْغُولاً بِغَيْرِهِ فِي حَالِ حَيَاتِه وَصِحَّتِه فَيَعْسُرُ عَلَيه اشْتَغالُهُ بِالله وَحُضُورِه مَعَهُ عِنْدَ المَوْتِ مَالَمْ تُدْرِكُهُ عِنَايَةُ مِنْ رَبِّه وَلأجلِ هَذَا كَانَ جَدِيْرَاً بِالعَاقِلِ أَنْ يُلْزِمَ قَلْبَهُ ولِسَانَهُ ذِكْرَ اللهِ حَيْثُمَا كَانَ لأَجلِ تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي إِنْ فَاتَتْ شَقِيَ شَقَاوَةَ الأَبَــدِ فَنَسْــأَلُ اللهَ أَنْ يُعِيْنَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَعَلَى شُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ – آمِينْ – وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ أَخِي أَهَمِّيَةَ الدُّعَاءِ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ بِقَولِه ﷺ لِمُعَاذ (وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ فَــلاَ تَدَعَــنَّ أَنْ تَقُــولَ دُبُرَ كُلِ صَلاَةٍ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَعَلَى شُكْرِكَ وَعَلَى حُسْنِ عِبَادَتِكَ) .

٢ – النَّعِيمُ وَالسُّرور :

فَــإِنَّ نَعِيْمَ المَحَبَّةِ فِي الدُّنْيَا رَقِيْقَةٌ ولَطِيفَةٌ مِنْ نَعِيمِ الجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ ، بَلْ هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَسُرُوْرِ النَّفْسِ ولَذَّةِ الأَرْوَاحِ وَغِذَاؤُهَا وَدَوَاؤُهَا بَلْ حَيَاتُهَا وقُرَّةُ عَيْنِهَا ، لاَ يُشْــبِهُهُ شَــيءُ مِــنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا البتة وليس لَهُ نَظِيْرُ يُقَاسُ بِه . وَالمُحِبُ لا يُفَارِقُهُ السُــرُورُ وَيَجِــدُ حَلاَوَةً فِي قَلْبِه فَوْقَ كُلِّ حَلاَوَةٍ وَيَحْصُلُ لَهُ نَعِيمُ أَتَمَّ مِنْ كُلِ نَعِيمْ ، وَتَــنَالُهُ لَــذَّةَ أَعْلَى مِنْ كُلِ لَذَّةٍ وَمَنْ ذَاقَ مَقَامَ المَحَبَّةِ عَرَفَ صِحَّةَ هَذَا الكَلاَمِ . وَأَمَّا أَهْلُ الغَفْلَةِ وَالإِعْرَاضِ ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[1]

فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها وذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل (أخرجه أحمد (٢/٣٦٤) وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة بسند صحيح .

[1] سورة فصلت – آية (٤٤)

فَقَدْ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ مَنْ ذَاقَ هَذِهِ اللَذَّةَ : لَوْ عَلِمَ المُلُوكُ وَأَبْنَاءُ المُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيْهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسيُوفِ وَقَالَ آخَرُ وَاللهِ إِنَّهُ لَيَمُرُ بِالقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيْهَا إِنْ كَانَ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحِبِيْنَ : مَسَاكِيْنُ أَهْلِ الدُنْيَا خَرَجُوا مِنْ الدُنْيَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيْهَا قَالَ : وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيْهَا قَالَ : مَحَبَةُ اللهِ وَالأُنْسِ بِهِ وَالشَوْقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ وَقَالَ بَعْضُ المُحِبِّيْنَ : إِنَّ حُبَهُ عَزَّ وَجَلَّ شَغَلَ قُلُوبَ مُحِبِيْهِ عَنْ التَلَذُذِ بِمَحَبَةِ غَيْرِهِ فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الدُنْيَا مَعَ حُبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَذَّةٌ تُدَانِيْ مَحَبَتَهُ وَمَا يُؤمِلُونَ فِي الآخِرَةِ مِنْ كَرَامَةِ الثَّوابِ أَكْبَرُ عِنْدَهُمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ مَحْبُوبِهِم . فَصَاحِبُ هَذِهِ اللذَةِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ نِسْبَتُهَا إِلَى لَذَّاتِ الدُنْيَا كَنِسْبَةِ لَذَّةِ الجَنَّةِ إِلَى لَذَّةِ الدُنْيَا . فَإِنَّه لَيْسَ لِلْقَلْبِ وَالرُّوحِ أَلَذُّ وَلاَ أَطْيَبَ وَلاَ أَحْلَى وَلاَ أَنْعَمَ مِنْ مَحَبَةِ اللهِ وَالإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ وَقُرَّةُ العَيْنِ بِهِ وَالأُنْسِ بِقُرْبِهِ وَالشَوْقِ إِلى لِقَائِهِ وَرُؤْيَتِهِ وَإِنَّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ هَذِهِ اللَّذَّةِ لاَ يُعْدلُ بِأَمْثَالِ الجِبَالِ مِنْ لَذَّاتِ الدُنْيَا . وَيَكْفِي فِي فَضْلِ هَذِهِ اللَّذةِ وَشَرَفِهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ مِنَ القَلْبِ أَلَمَ الحَسْرَةِ عَلَى مَا يَفُوتُ مِنْ هَذِهِ الدُنْيَا حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَأَلَمُ بِأَعْظَمِ مَا يَتَلَذَّذُ بِهِ أَهْلُهَا وَيَفِرُ مِنْهُ فِرَارَهُمْ مِنَ المُؤْلِمِ . وَهَذَا مَوْضِعُ الحَاكِمِ فِيْهِ الذَّوقُ لاَ مُجَرَّدَ لِسَانِ العِلْمِ ، وَكُلُ مَنْ لَهُ قَلْبٌ حَيٌ يَشْهَدُ هَذَا وَيَعْرِفُهُ ذَوْقَاً ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ هَذَا السُرُورُ يَبْعَثُهُ عَلَى دَوَامِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَذْلَ الجُهْدِ فِي طَلَبِهِ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَذَا السُّرُورَ وَلاَ شَيْئَاً مِنْهُ فَلْيَتَهِمْ إِيْمَانَهُ وَأَعْمَالَهُ فَإِنَّ لِلإِيْمَانِ حَلاَوَةً ، مَنْ لَمْ يَذُقْهَا فَلْيَرْجِعْ وَلْيَقْتَبِسْ نُوْرَاً يَجِدُ بِهِ حَلاَوَةَ الإِيْمَانِ وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُ ﷺ ذَوْقَ حَلاَوَةِ الإِيْمَانِ ، وَوَجَدَ حَلاَوَتَهُ فَذَكَرَ الذَّوْقَ وَالوَجْدَ وَعَلَّقَهُ بِالإِيْمَانِ فَقَالَ (ذَاقَ طَعْمُ الإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبَّاً وَبِالإِسْلاَمِ دِيْنَاً وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُوْلاً)[1] .

---

[1] أخـرجه أحمـد (٢٠٨/١) ومسلم (٢/٢ - نووي) . نقل النووي في شرح مسلم (٢/٢) عن القاضي عياض قوله (ومعنى الحديـث : صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشة قلبه لأن من رضي أمر سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله ولذت له والله أعلم .

وَقَــالَ ﷺ (ثَــلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَــبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) .

قَــالَ شَــيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ (إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلعَمَلِ حَلاَوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِــرَاحاً فَاتَّهِمْــهُ فَــإِنَّ الرَّبَّ شَكُورٌ ، يعني أَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يُثِيبَ العَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِــي الدُّنْيَــا حَــلاَوَةً وَيَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ وَقُوَّةً وَانْشِرَاحاً وَقُرَّةَ عَيْنٍ فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ) .

وَوِجْدَانُ هَذِهِ الأُمُورِ وَذَوْقُهَا هُوَ بِحَسْبِ قُوَّةِ المَحَبَّةِ وَضَعْفِهَا وَبِحَسْبِ إِدْرَاكِ جَمَــالِ المَحْــبُوبِ وَالقُــرْبِ مِنْهُ ، وَكُلَّمَا كَانَتِ المَحَبَّةُ أَكْمَلَ وَإِدْرَاكَ المَحْبُوبِ أَتَمَّ وَالقُــرْبُ مِــنْهُ أَوْفَــرَ كَانَتِ الحَلاَوَةُ وَاللَّذَّةُ وَالسُّرُورُ وَالنَّعِيمُ أَوْفَى ، فَمَنْ كَانَ بِاللهِ سُــبْحَانَهُ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ أَعْرَفَ وَفِيْهِ أَرْغَبَ وَلَهُ أَحَبَّ وَإِلَيْهِ أَقْرَبَ وَجَدَ مِنْ هَذِهِ الحَــلاَوَةِ فِــي قَلْبِهِ مَالاَ يُمْكِنُ التَعْبِيرَ عَنْهُ . إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالعَبْدُ فِي حَالِ مَعْصِيَتِهِ وَاشْــتِغَالِهِ عَــنْهُ بِشَــهْوَتِهِ وَلَذَّتِهِ تَكُونُ تِلْكَ اللَّذَّةُ وَالحَلاَوَةُ الإِيمَانِيَةُ قَدِ اسْتَتَرَتْ عَنْهُ وَتَوَارَتْ أَوْ نَقَصَتْ أَوْ ذَهَبَتْ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً كَامِلَةً لَمَا قَدَّمَ عَلَيْهَا لَذَّةً وَشَهْوَةً لاَ نِسَــبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا بِوَجْهٍ مَا ، بَلْ هِيَ أَدْنَى مِنْ حَبَّةِ خَرْدَلٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا . وَلِهَذَا تَجِدُ العَبْدَ إِذَا كَانَ مُخْلِصاً مُنِيْباً إِلَيْهِ مُطْمَئِنّاً بِذِكْرِهِ مُشْتَاقاً قَلْبُهُ إِلَى لِقَائِهِ مُنْصَرِفاً عَنْ هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا وَلاَ يُعَوِّلُ عَلَيْهَا وَيَرَى اسْتِبْدَالَهُ بِهَا عَمَّــا هُــوَ فِيــهِ كَاسْــتِبْدَالِهِ البَعَرَ الخَسِيْسَ بِالجَوْهَرِ النَّفِيسِ وَبَيْعِهِ الذَّهَبَ بِأَعْقَابِ الجَزَرِ وَبَيْــعِ المِسْــكِ بِالرَّجِيْعِ ، وَبِالجُمْلَةِ فَنَعِيْمُ المُحِبِّ دَائِماً وَإِنْ خَرَجَ بِالآلاَمِ أَحْيَاناً فَلَوْ عَــرَفَ المَشْــغُولُونَ بِغَيْــرِ الحَــقِ سُبْحَانَهُ مَا فِيْهِ أَهْلُ مَحَبَّتِهِ وَذِكْرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ مِنَ الــنَّعِيْمِ : لَــتَقَطَّعَتْ قُــلُوبُهُمْ حَسَــرَاتٍ ، وَلَعَلِمُوا أَنَّ الَّذِي حَصَّلُوهُ لاَ نِسْبَةَ لَهُ إِلَى مَا ضَيَّعُوهُ وَحُرِمُوهُ .

٣ ـ التَّسَلِي عَنِ المصَائِبِ :

فَإِنَّ المُحِبَّ يَجِدُ فِي لَذَّةِ المَحَبَّةِ مَا يُنْسِيهِ المَصَائِبَ وَلاَ يَجِدُ مِنْ مَسِّهَا مَا يَجِدُهُ غَيْرُهُ فَإِذَا سَلِمَ لَهُ مَحْبُوبُه لَمْ يُنَالِ بِمَا فَاتَهُ فَلاَ يَجْزَعُ عَلَى مَا نَالَهُ ، فَإِنَّه يَرَى فِي مَحْبُوبِه عَوَضاً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ يَرَى فِي شَيْءٍ غَيْرَهُ عِوَضاً عَنْهُ أَصْلاً [1] فَكُلُّ مُصِيبَةٍ عِنْدَهُ هَيِّنَةٌ إِذَا ابْقَتْ عَلَيْه مَحْبُوبه . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي المَحَبَةِ مِنَ الفَوَائِدِ إِلاَّ هَذِهِ الفَائِدَةِ وَحْدَهَا لَكَفَى بِهَا شَرَفاً فَإِنَّ المَصَائِبَ لاَزِمَةٌ لِلعَبدِ وَلاَ مَحِيدَ لَهُ عَنْهَا وَلاَ يُمكِنُ دَفْعُهَا بِمِثْلِ المَحَبَةِ . وَهَكَذَا مَصَائِبُ المَوْتِ وَمَا بَعْدَهَا إِنَّمَا تَسْهُل وَتَهُونُ بِالمَحَبَّةِ ، وَكَذَلِكَ مَصَائِبَ القِيَامَةِ ، وَأَعْظَمُ المَصَائِبِ مُصِيبَةُ النَّارِ وَلاَ يَدْفَعُهَا إِلاَّ مَحَبَّةَ الله وَحْدَهُ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِه ﷺ فَالمَحَبَّةُ أَصلُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كَمَا قَالَ سَمْنُون (ذَهَبَ المُحِبُّونَ لله بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَإِنَّ النَّبِيَ ﷺ قَالَ (المَرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فَهُمْ مَعَ الله وَلِكُلِّ عَمَلٍ جَزَاءُ وَجَزَاءُ المَحَبَّةِ المَحَبَّةُ وَالوُصُول وَالاصْطِنَاعُ وَالقُربُ ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَصلُحُ وَكَفَى بِذَلِكَ شَرَفاً وَفَضْلاً قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[2]

٤ – انشِرَاحُ الصَّدرِ :

وَلِلمَحَبَّةِ تَأْثِيرُ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطِيبِ النَّفْسِ وَنَعِيمَ القَلْبِ لاَ يَعْرِفُهُ إِلاَّ مَنْ لَهُ حِسُّ بِه وَكُلَّمَا كَانَتِ المَحَبَّةُ وأَقوَى كَانَ الصَّدْرُ أَفْسَح وَأَشْرَحَ وَلاَ يَضِيقُ إِلاَّ عِنْدَ رُؤْيَةِ البَطَّالِيْنَ الفَارِغِيْنَ مِنْ هَذَا الشَّأْنِ ، فَرُؤْيَتُهُمْ قَذَى عَيْنِه وَمُخَالَطَتِهِم حُمَّى رُوْحِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[3]

---

[1] قال الشاعر : من كل شيء إذا ضيعته عوض ... وما من الله إن ضيعته عوض

[2] سورة طة – آية (٣٩) .

[3] سورة الأنعام – آية (١٢٥) .

فَأيُ نَعيْم أطْيَبُ مِنْ شَرَحِ الْصَدرِ وَأيُّ عَذَابِ أحَرُ مِنْ ضِيْقِ الْصَدْرِ فَالمحبُ للهِ (مَــنْ أطْيَــبِ الْنَّاسِ عَيْشَاً وَأنْعَمُهَم بَالاً وَاشْرحَهُمْ صَدْراً وَأسَرُهَم قَلْبَاً وَهَذه جَنَّةُ عَاجِلَةُ قَبْلَ الْجَنَةِ الآجلة) .

٥ – قطع الوسواس :

إنَّمَــا كَــانَتِ المَحَبَّةُ قَاطِعَةً لِلوَسْوَاسِ لإحْضَارِ المُحبِّ قَلْبَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَحْبُوبِه وَالوَسْــوَاسِ إنَّمَــا يَنْشَأُ مِنْ الغَيْبَةِ وَالبُعْدِ ، وَأمَّا الحَاضِرُ المُشَاهِدُ فَمَا لَهُ وَلِلوَسْوَاسْ فَالمُوَسْــوِسُ يُجَــاهِدُ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ لِيَحْضُرَ بَيْنَ يَدَيْ مَعْبُودِه وَالمُحبُ لَمْ يَغِبْ قَلْبُهُ عَنْ مَحْــبُوبِه فَيجُاهِدُهُ عَلَى إحْضَارِهْ ، فَالوَسْوَاسُ وَالمَحَبَّةُ مُتَنَافِيَان . وَمِنْ وَجْهٍ آخَر إنَّ المُحِــبَ قَــد انْقَطَعَــتْ عَنْ قَلْبِه وَسَاوِسَ الأطْمَاعِ لامْتِلاءِ قَلْبِه مِنْ مَحَبَّةِ حَبِيْبِه فَلاَ تَــتَوَارَدُ عَــلَى قَلْــبِه جَوَاذِبَ الأطْمَاعِ وَالأمَانِي لاشْتَغَالِه بِمَا هُو فِيه . وَالوَسْوَاسُ وَالأمَــانِي إنَّما تَنْشَأُ مِنْ حَاجَتِه وَفَاقَتِه إلَى مَا تَعَلَّقَ طَمَعُهُ بِه وَهَذَا عَبْدٌ قَدْ جَنَى مِنَ الإحْسَانِ وَأُعْطِيَ مِنَ النَّعِيْمِ مَا سَدَّ حَاجَتَهُ وَأغْنَى فَاقَتَهُ فَلَمْ يَبْقَى لَهُ طَمَعُ وَلاَ وَسْوَاسُ بَلْ بَقِيَ حُبَّهُ لِلمُنَعمِ عَلَيْه وَشُكْرِه لَهُ وَذِكْرِه إيَّاهُ فِي مَحَلٍ وَسَاوِسِه وَخَوَاطِرِه لِمُطَالَعَة نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ وَشُهُودِه مِنْهَا مَا لَمْ يَشْهَدْ غَيْرَهُ .

٦ – وَكَذَلكَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا حَمْدُ المَحْبُوبِ والرِّضَى عَنْهُ وَشُكْرِه وَخَوْفِه وَرَجَاؤُهُ وَالتَّنَعُمُ بِذِكْرِه وَالسُّكُونُ إلَيْه وَالأنْسُ بِه وَالوَحْشَةُ بِغَيْرِه قَالَ بَعضْ السَّلَفِ إنِّي أعْرِفُ مَتَى يَذْكُرُنِي رَبِّي ثُمَّ قَرأَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[1] .

٧ – وَمِــنْ أجَلِّ ثَمَرَاتِ المَحَبَّة وَأعْلاهَا وَأعْظَمِها (مَحَبَّةُ اللهِ والفَوْزَ بِرِضَاهُ وَالأُنْسْ بِقُرْبِه) وَمَا أعْظَمَ نَعِيْمَ المُحبِّ إذَا قَدِمَ عَلَى مَحْبُوبِه بَعْدَ طُولِ شَوْقِه وَتَمَكُنِ مِنْ مُشَاهَدَتِه مِنْ غَيْرِ مُنَغصٍ وَلاَ مُكَدِّرِ .

---

[1] سورة البقرة آية (١٥٢) .

عَــنْ صُــهَيب الرُومي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْــنَا الجَنَّةَ وَتُنْجِيْنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَلاَ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1]

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ ٱلأَمْرَ هَكَذَا وَهُوَ أَجَلُّ مِمَّا يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَو يَدُورُ فِي الخَيَالِ وَلاَ سِيَّمَا عِنْدَ فَوزِ المُحِبِّيْنَ هُنَاكَ بِمَعِيَّةِ المَحْبُوبِ فَإِنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فَأَيُّ نَعِيْمٍ وَأَيُّ لَــذَّةٍ وَأَيُّ قُــرَةَ عَيْنٍ وَأَيُّ فَوزٍ يُدَانِي نَعِيْمَ تِلْكَ الْمَعِيَةِ وَلَذَّتِهَا وَقُرَةَ العَيْنِ بِهَا ؟ وَهَلْ فَوْقَ نَعِيْمِ قُرَّةِ العَيْنِ بِمَعَّيَةِ الْمَحْبُوبِ الَّذِيْ لاَ شَيءِ أَجَلَّ مِنْهُ وَلاَ أَكْمَلَ وَلاَ أَجْمَلَ قُرَةُ عَيْــنِ البَــتَّةَ ؟ وَهَذَا – وَاللهِ – هُوَ الْعِلْمُ الَّذِيْ شَمَّرَ إِلَيْهِ المَحْبُوبُ وَاللَّوَاءُ الَّذِيْ أَمَّهُ العَارِفُونَ وَهُوَ رُوْحُ مُسَمَّى الجَنَّةَ وَحَيَاتُهَا وَبِهِ طَابَتِ الجَنَّةُ وَعَلَيْهِ قَامَتْ .

٨ – النَّجَاةُ مِنَ النَّــارِ :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَصَبِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْ الطَّرِيْقِ فَلَمَّا رَأَتْ أُمَّهُ الدَّوَابَّ خَشِيَتْ عَلَى ابْنِهَا أَنْ يُوْطَأَ فَسَعَتْ وَالِهَةً فَقَالَتْ ابْنِيْ ، ابْنِيْ فَاحتَمَلَتْ ابْنَهَا فَقَالَ القَوْمُ يَا نَبِيَّ اللهِ ﷺ مَا كَانَتْ هَذِهِ لَتُلْقِيْ ابْنَهَا فِي النَّارِ فَقَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ (لاَ وَاللهِ لاَ يُلْقِى اللهُ حَبِيْبَهُ فِي النَّارِ)[2] فَهَذِهِ ثَمَرَاتُ المَحَبَّةِ وَلَعَلَّهَا قَطْــرَةٌ مِــنْ بَحْرٍ بِحَسَبِ أَذْهَانِنَا الوَاقِفَةِ وَقُلُوبِنَا المُخْطِئَةِ وَعُلُومِنَا القَاصِرَةِ وَأَعْمَالِنَا الَّــتِي تُوجِبُ التَّوبَةَ وَالاسْتِغْفَارَ وَإِلاَّ فَلَوْ طَهُرَتْ مِنَّا القُلُوبُ وَصَفَتِ ٱلأَذْهَانُ وَزَكَتِ النُّفُوسُ وَخَلُصَتِ الأَعْمَالُ وَتَجَرَّدَتِ الهِمَمُ لِلتَّلَقِّى عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَشَاهَدْنَا مِنْ مَعَانِيْ كَــلاَمِ اللهِ وَأَسْرَارِهِ وَحِكَمِهِ مَا تَضْمَحِلُّ عِنْدَهُ العُلُومُ وَتَتَلاَشَى عِنْدَهُ مَعَارِفُ الخَلْقِ ،

---

[1] سورة الذاريات – آية (١٨) .

[2] أخرجه أحمد (١٠٤/٣ و ١٣٥) والحاكم (١٧٧/٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وَبَعْـــدُ فَإِنَّ القُلُوبَ فِي الصَّلاَةَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْوالٍ فاقْرَأْ واسْمَعْ بِحُضُورِ قَلْبٍ إِلَى مَا سَطَّرَهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِيْ كِتَابِهِ القَيِّمِ الوابلِ الصَيِّبِ فِي الكَلِمِ الطَّيِّبِ . فَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ (وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ فإذَا صَلَّيْتُم فَلاَ تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ) والإِلْتِفَاتُ فِي الصَّلاَةِ قِسْمَانْ :

أَحَدُهَا : التِفَاتُ القَلْبِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِ اللهِ تَعَالَى .

والثَّانِي : التِفَاتُ البَصَرِ وكِلاَهُمَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ وَلاَ يَزَالُ اللهُ مُقْبِلاً عَلَى عَبْدِهِ مَادَامَ العَبْدُ مُقْبِلاً عَلَى صَلاَتِهِ فَإِذَا التَفَتَ بِقَلْبِهِ أَوْ بَصَرِهِ أَعْرَضَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَـلَيْهِ وَسَـلَّمِ عَنِ التِفَاتِ الرَّجُلِ فِي صَلاَتِهِ فَقَالَ : اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ[1].

وَفِي أَثَرٍ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى (إِلَى خَيْرٍ مِنِّي ، إِلَى خَيْرٍ مِنِّي) ؟

وَمَــثَلُ مَــنَ يَلْــتَفِتُ فِي الصَّلاَةِ بِبَصَرِهِ أَوْ قَلْبِهِ مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَدْعَاه السُلْطَانُ فَأَوْقَفَــهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْبَلَ يُنَادِيهِ ويُخَاطِبُهُ وَهُوَ فِي خِلالِ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ عَنْ السُلْطَانِ يَمِيناً وَشِمالاً وَقَدْ انصَرَفَ قَلْبُهُ عَنْ السُلْطَانِ فَلاَ يَفْهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ لأَنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِراً مَعَــهُ فَمَــا ظَــنُ هَذَا الرَجُلَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ السُلْطَانُ ؟ أَفَلَيْسَ أَقَلُ المَرَاتِبِ فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْصَــرِفَ مِــنَ بيْــنِ يَدَيْهِ مَمْقُوتاً مُبْعَداً قَدْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ فَهَذَا المُصَلَّى لاَ يَسْتَوِي وَالحَاضِرُ القَلْبِ المُقْبِلُ عَلَى اللهِ فِي صَلاَتِهِ الَّذِي قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ عَظَمَةَ مَنْ هُوَ وَاقِفُ بَيْــنَ يَدَيْهِ فَامْتَلأَ قَلْبَهُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَذَلَّتْ لَهُ عُنُقَهُ وَاسْتَحَي مِنَ رَبِّهِ تَعَالَى أَنْ يُقْبِلَ عَلَى غَيْــرِهِ أَوْ يَلْتَفِتَ عَنْهُ وَبَيْنَ صَلاتَيْهِمَا كَمَا قَالَ حَسَّانُ بنُ عَطِيَّةَ (إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانَ فِــي الصَّــلاَةِ الوَاحِدَةِ وإِنَّ مَا بَيْنَهُمَا فِي الفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَذَلِكَ أَنَّ

---

[1] رواه الـــبخاري (٢/١٩٤) وأحمـــد في المســـند (٦/٧و ١٠٦) وأبو داود رقم (٩١٠) في الصلاة والترمذي رقم (٥٩٠) في الصلاة والنسائي (٣/٨) في السهو وذكر الحاكم في المستدرك (١/٢٣٧) أن الشيخين اتفقا على إخراجه .

أَحَدُهُمَا مُقْبِلٌ بِقَلْبِهِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالآخَرُ سَاهٍ غَافِلٌ ، فَإِذَا أَقْبَلَ العَبْدُ عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ لَمْ يَكُنْ إِقْبَالاً وَلاَ تَقْرِيبَاً فَمَا الظَنُّ بِالخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابُ الشَّهَوَاتِ وَالوَسَاوِسْ ، وَالنَّفْسُ مَشْغُوفَةٌ بِهَا مَلأَى فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِقْبَالاً وَقَدْ أَلْهَتْهُ الوَسَاوِسُ وَالأَفْكَارُ وَذَهَبَتْ بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ وَالعَبْدُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ فَإِنَّهُ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ وَأَغْيَظِهِ لِلشَّيْطَانِ وَأَسَدِّهِ عَلَيْهِ فَهُوَ يَحْرِصُ وَيَجْتَهِدُ كُلَّ الاجْتِهَادِ أَلاَّ يُقِيمَهُ فِيهِ بَلْ لاَ يَزَالُ بِهِ يَعِدُهُ وَيُمَنِّيهِ وَيُنَسِّيهِ وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ حَتَّى يُهَوِّنَ عَلَيْهِ شَأْنَ الصَّلاَةِ فَيَتَهَاوَنُ بِهَا فَيَتْرُكُهَا فَإِنْ عَجِزَ عَنْ ذَلِكَ مِنْهُ وَعَصَاهُ العَبْدُ وَقَامَ فِي ذَلِكَ المَقَامِ أَقْبَلَ عَدُوُّ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيُذَكِّرُهُ فِي الصَّلاَةِ مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيهَا حَتَّى رُبَّمَا كَانَ قَدْ نَسِيَ الشَّيْءَ وَالحَاجَةَ وَآيَسَ مِنْهَا فَيُذَكِّرُهُ إِيَّاهَا فِي الصَّلاَةِ لِيَشْغَلَ قَلْبَهُ وَيَأْخُذَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُومَ فِيهَا بِلاَ قَلْبٍ فَلاَ يَنَالُ مِنْ إِقْبَالِ اللهِ تَعَالَى وَكَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ مَا يَنَالُهُ المُقْبِلُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ الحَاضِرُ بِقَلْبِهِ فِيْ صَلاَتِهِ فَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَتِهِ مِثْلَ مَا دَخَلَ فِيهَا بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ وَأَثْقَالِهِ لَمْ تُخَفَّفْ عَنْهُ الصَّلاَةُ ، فَإِنَّ الصَّلاَةَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ سَيِّئَاتِ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا وَأَكْمَلَ خُشُوعَهَا وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ فَهَذَا إِذَا انْصَرَفَ مِنْهَا وَجَدَ خِفَّةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَحَسَّ بِأَثْقَالٍ قَدْ وُضِعَتْ عَنْهُ فَوَجَدَ نَشَاطَاً وَرَاحَةً وَرَوْحَاً حَتَّى يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَرَجَ مِنْهَا لأَنَّهَا قُرَّةُ عَيْنِهِ وَنَعِيمُ رُوحِهِ وَجَنَّةُ قَلْبِهِ وَمُسْتَرَاحُهُ فِي الدُّنْيَا ، فَلاَ يَزَالُ كَأَنَّهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهَا فَيَسْتَرِيحَ بِهَا لاَ مِنْهَا فَالمُحِبُّونَ يَقُولُونَ نُصَلِّي فَنَسْتَرِيحُ بِصَلاتِنَا كَمَا قَالَ إِمَامُهُمْ وَقُدْوَتُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَا بِلالُ أَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ)[1] وَلَمْ يَقُلْ أَرِحْنَا مِنْهَا وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ)[2] فَمَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةِ كَيْفَ تَقَرُّ عَيْنُهُ بِدُونِهَا وَكَيْفَ يُطِيقُ

---

[1] رواه أحمد في المسند (٥/٣٦٤ و ٣٧١) وأبو داود (٤٩٨٥) و (٤٩٨٦) في الأدب وهو حديث صحيح .

[2] رواه الإمام أحمد في المسند (٣/١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥) والنسائي (٧/٦١) وهو حديث صحيح .

الصَبْرَ عَنْهَا ، فَصَلاَةُ هَذَا الحَاضِرُ بِقَلْبِهِ الذي قُرَّةَ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةِ هِيَ الَّتِي تَصْعَدُ وَلَهَـــا نُورُ وَبُرْهَانُ حَتَّى يَسْتَقبِل بِهَا الرَّحْمنُ عَزَّ وَجَل فَتَقُولُ حَفظَكَ اللهُ تَعَالَى كَمَا حَفظْتَـــنِي ، أَمَّـــا صَلاَةُ المُفَرطِ المُضَيِّعِ لِحُقُوقِهَا وَحُدُودِهَا وَخُشُوعِهَا فَإِنَّها تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَوْبُ الخَلَقُ وَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا وَتَقُولُ (ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي) وَقَدْ رُوِىَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ رَوَاهُ بَكْرُ بنُ بِشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ عَنْ أَبِــي شَجَرَةَ عَنْ عَبْدالله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهِ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ أَنَّهُ قَال (مَا مِنْ مُؤمِنٍ يُتِم الوُضُوءَ إِلى أَمَاكِنِهِ ثُمَّ يَقُومُ إِلى الصَّلاَةِ فِيْ وَقْتِها فَيُؤَدِّيْهَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْقِصْ مِنْ وَقْـــتِهَا وَرُكُوعِهَـــا وَسُجُودِهَا وَمَعَالِمِهَا شَيْئاً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْضَاءَ مُسْفِرةً يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلى الرَّحْمنِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ قَـــامَ إِلَى الصَّلاَةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وُضُوءَهَا وَأَخَّرَهَا عَنْ وَقْتِهَا وَاسْتَرَقَ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَمَعَالِمَهَـــا رُفِعَتْ عَنْهُ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، ثُمَّ لاَ تُجَاوِزُ شَعْرَ رَأْسِهِ تَقُولُ(ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَـــا ضَيَّعْتَنِي ، ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي) فالصَّلاَةُ المَقْبُولَة والعَمَلُ المَقْبولُ أَنْ يُصَـــلِّي العَبْد صَلاَةً تَلِيقُ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا كَانَتْ صَلاَةً تَصْلُحُ لِرَبِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى وَتَلِيقُ بِهِ كَانَتْ مَقْبُولَةً .

وَالمَقْبُولُ مِنَ العَمَلِ قِسمَانِ :

أَحَدُهَا :

أَنْ يُصَـــلِّيَ العَبْدُ وَيَعْمَل سَائِرَ الطَّاعَاتِ وَقَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَاكِراً للهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الدَّوَامِ ، فَأَعْمَالُ هَذَا العَبْدِ تُعْرَضُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَقِفَ قَبَالَتَهُ فَيَـــنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهَا فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا رَآهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ مُرْضِيَةً وَقَدْ صَدَرَتْ عَــنْ قَلْبٍ سَلِيمٍ مُخْلِصٍ مُحِبٍّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَقَرِّبٌ إِلَيْهِ أَحَبَّهَا وَرَضِيَهَا وَقَبِلَهَا. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا كَذَلِكَ وَمِنْ أَسْبَقِ السَّابِقِينَ فِي ذَلِكَ آمِين .

وَالثَّانِــــي :

أنْ يَعْمَـلَ الْعبدُ الأعْمَالَ عَلَى العَادَةِ وَالغفْلَةِ ويَنْوِيَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالتقرُّبَ إلَى اللهِ فَأرْكَانُــهُ مَشْغُولَةٌ بِالطَاعةَ وقَلْبُهَ لاَهٍ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وكَذَلِكَ سَائِرُ أعْمَالِه فَإذَا رُفِعتْ أعْمَالُ هَذَا إلَى اللهِ عَزَّ وَجلَّ لَمْ تَقِفْ تِجَاهَهَ ، وَلاَ يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَيْهَا ولَكِنْ تُوضَعُ حَيْثُ تُوضَــعُ دَوَاوِينُ الأعْمَالِ حَتَّى تُعْرَضَ عَلَيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فتَمَيَّزُ فَيُثِيبَهُ عَلَى مَا كَانَ لَهُ مِــنْهَا وَيَرُدُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُرِدْ وَجْهَهُ بِهِ مِنهَا فَهَذَا قَبُولُهُ لِهَذَا العَمَلِ إثَابَتَهُ عَلَيهِ بِمَخْلوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِه مِنَ القُعُودِ وَالأكْلِ وَالشَّرَابِ وَالحُورِ العِينِ .

وَإثَابَــةُ الأَوَّلِ رِضَــى العَمَلِ لِنَفْسِهِ وَرِضَاهُ عَنْ مُعَامَلَةِ عَامِله وَتَقرِيْبِه مِنْهُ وَإعْــلاءِ دَرَجَــتِه وَمَنزِلَتِه فَهَذَا يُعْطِيْهِ بِغَيْرِ حِسَابْ ، فَهَذَا لَوْنٌ وَالأوَّلُ لَوْنٌ آخَرُ .

(وَالنَّاسُ فِي الصَّلاَةِ عَلَى خَمْسَةِ مَرَاتِبْ) :

أحَدُهَا : مَرْتَــبَةُ الظَّــالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُفَرِّطُ وَهُوَ الَّذِي انتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا وَمَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا وَأرْكَانِهَا .

الثَّانِي : مَــنْ يُحَــافِظُ عَلَى مَوَاقِيْتِهَا وَحُدُودِهَا وَأرْكَانِهَا الظَّاهِرَةِ ووُضُوئِهَا لَكِنَّهُ قَدْ ضَيَّعَ مُجَاهَدَةَ نَفْسِهِ فِي الوَسْوَسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الوَسَاوِسِ وَالأفْكَارِ .

الثَّالِثُ : مِنْ حَافَظَ عَلَى حُدُودِهَا وَأرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسَاوِسِ وَالأفْكَارِ فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِهِ لِئَلاَّ يَسْرِقَ صَلاَتَهُ فَهُوَ فِي صَلاَةٍ وَجِهَادٍ .

الرَّابِعُ : مَــنْ إذَا قَــامَ إلَى الصَّلاَةِ أكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا وَاسْتَغْرَقَ قَلْبُهُ مُــرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا لِئَلاَّ يَضِيْعَ مِنْهَا شَيْءٍ بَلْ هَمُّهُ كُلَّهُ مَصْرُوفٌ إلَى إقَامَتِهَا كَمَــا يَنْــبَغِي وَإكْمَالِهَا وإتْمَامِهَا وَقَدِ اسْتَغْرَقَ قَلْبَهُ شَأْنُ الصَّلاَةِ وَعُبُودِيَّةَ رَبِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيْهَا .

خامساً : مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَامَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَي رَبِّـــهِ نَاظِـــراً بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِباً لَهُ مُمْتَلِئاً مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ وَقَدْ اضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الوَسَاوِسُ وَالخَطَرَاتُ وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْـــرِهِ فِي الصَّلاَةِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلاَتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرِيْرُ العَيْنِ بِهِ . نَسْأَلُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ هَذَا الفَضْلَ العَظِيْمَ آمين .

فَالقِسْمُ الأَوَّلُ : مُعَـــاقَبٌ وَالثَّانِي مُحَاسَبٌ وَالثَّالِثُ مُكَفَّرٌ عَنْهُ وَالرَّابِعُ مُثَابٌ وَالخَامِسُ مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ لَهُ نَصِيْباً مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةْ ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلاَتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِرَبِّهِ فِي الآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ أَيْضاً فِي الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ وَقَـــدْ رُوِيَ أَنَّ الْعَـــبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّيْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ارْفَعُوا الحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَـــبْدِيْ فَـــإِذَا الْتَفَتَ قَالَ : أَرْخُوهَا وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الإِلْتِفَاتُ بِالْتِفَاتِ القَلْبِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَـــلَّ إِلَى غَيْرِهِ فَإِذَا الْتَفَتَ إِلَى غَيْرِهِ أَرْخَي الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَبْدِ فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أُمُورَ الدُّنْيَا وَأَرَاهُ إِيَّاهَا فِي صُورَةِ المِرْآةِ وَإِذَا أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ عَلَى اللهِ وَلَمْ يَلْـــتَفِتْ لَمْ يَقْدِرِ الشَّيْطَانُ عَلَى أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَبَيْنَ ذَلِكَ القَلْبِ وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ إِذَا وَقَعَ الحِجَابُ فَإِنْ فَرَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ فَرَّ الشَّيْطَانُ فَإِنِ الْتَفَتَ حَضَـــرَ الشَّـــيْطَانُ فَهُـــوَ هَكَذَا شَأْنُهُ وَشَأْنُ عَدُوِّهِ فِي الصَّلاَةِ وَإِنَّمَا يَقْوَى الْعَبْدُ عَلَى حُضُـــورِهِ فِي الصَّلاَةِ وَاشْتِغَالِهِ فِيْهَا بِرَبِّهِ إِذَا قَهَرَ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ وَإِلاَّ فَقَلْبٌ قَدْ قَهَرَتْهُ شَـــهْوَتُهُ وَأَسَـــرَهُ الْهَـــوَى وَوَجَـــدَ الشَّيْطَانُ فِيْهِ مَقْعَداً تَمَكَّنَ فِيْهِ ، كَيْفَ يُخَلِّصُ مِنْهُ الوَسَاوِسَ وَالأَفْكَارَ وَقَدْ عَبَدَ الْهَوَى وَالشَّيْطَانَ الرَّجِيْمَ وَالنَّفْسَ الأَمَّارَةَ بِالسُّوْءِ وَالدُّنْيَا)

وَالقُلُوبُ ثَلاَثَةٌ :

القَلْبُ الأَوَّلُ : قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الإِيْمَانِ وَجَمِيعِ الخَيْرِ فَذَلِكَ قَلْبٌ مَظْلِمٌ قَدْ اسْتَرَاحَ الشَّيْطَانُ مِـنْ إِلْقَـاءِ الوَسَاوِسِ إِلَيْهِ لأَنَّهُ قَدْ اتَّخَذَهُ بَيْتاً وَوَطَناً وَتَحَكَّمَ فِيْهِ بِمَا يُرِيْدُ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ غَايَةَ التَّمْكِينِ .

والقَـلْبُ الـثَّانِي : قَـلْبٌ قَـد اسْتَنَارَ بِنُورِ الإِيْمَانِ وَأَوقَدَ فِيْهِ مِصْبَاحَهُ لَكِنْ عَلَيْهِ ظُلْمَةُ الشَّـهَوَاتِ وَعَواصِـفُ الأَهْوِيَـةِ ، فَلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ وَمَجَالاتٌ وَمَطَامِعُ فَالْحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَالٌ ، وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هَذَا الصِّنْفِ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَوقَاتُ غَلَبَـتِه لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَوقَاتُ غَلَبَةِ عَدُوِّهِ لَهُ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَارَةً وَتَارَةً .
نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى العَفْوَ وَالعَافِيَةَ وَالنَّجَاةَ وَالسَّلامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ آمين .

القَـلْبُ الـثَّالِثُ : قَـلْبٌ مَحْشُـوٌّ بِالإِيْمَانِ قَد اسْتَنَارَ بِنُورِ الإِيْمَانِ وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ حُجُبُ الشَّـهَوَاتِ وَأَقْلَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ فِي قَلْبِهِ إِشْرَاقٌ وَلِذَلِكَ الإِشْرَاقِ إِيقَادٌ لَوْ دَنَا مِنْهُ الوَسْوَاسُ احْتَرَقَ بِهِ فَهُوَ كَالسَّمَاءِ الَّتِي حُرِسَتْ بِالنُّجُومِ فَلَو دَنَا مِنْهَا الشَّيْطَانُ يَتَخَطَّاهَا رُجِمَ فَاحْتَرَقَ وَلَيْسَتِ السَّمَاءُ بِأَعْظَمَ مِنَ المُؤْمِنِ وَحِرَاسَةُ اللهِ لَهُ أَتَمُّ حِرَاسَةً مِـنَ السَّـمَاءِ وَالسَّـمَاءُ مُتَعَبَّدُ المَلائِكَةِ وَمُسْتَقَرُّ الوَحْيِ وَفِيهَا أَنْوَارُ الطَّاعَاتِ وَقَلْبُ المُؤْمِنِ مُسْتَقَرٌّ يُحْرَسُ وَيُحفَظُ مِنْ كَيْدِ العَدُوِّ فَلاَ يَنَالُ مِنْهُ شَيْئاً إِلا خَطْفَةً ، فَقَلْبٌ خَلاَ مِـنَ الخَيْـرِ كُـلِّه هُـوَ قَـلْبُ الكَافِرِ وَالمُنَافِقِ فَذَلِكَ بَيْتُ الشَّيْطَانِ قَدْ أَحْرَزَهُ لِنَفْسِهِ وَاسْـتَوطَنَهُ وَاتَّخَـذَهُ سَـكَناً وَمُسْـتَقَراً فَأَيُّ شَيءٍ يَسْرِقُ مِنْهُ وَفِيْهِ خَزَائِنُهُ وَذَخَائِرُهُ وَشُـكُوكُهُ وَخَيَالاَتُـهُ وَوَسَاوِسُـهُ . وَقَلْبٌ قَد امْتَلأَ مِنْ جَلاَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَظَمَتِهِ وَمَحَبَّـتِه وَمُرَاقَبَتِه وَالحَيَاءِ مِنْهُ فَأَيُّ شَيْطَانٍ يَجْتَرِئُ عَلَى هَذَا القَلْبِ وَإِنْ أَرَادَ سَرِقَةَ شَـيءٍ مِنْهُ فَمَاذَا يَسْرِقُ وَغَايَتُهُ أَنْ يَظْفَرَ فِي الأَحَادِيْنَ مِنْهُ بِخَطْفَةٍ وَنَهْبٍ يَحْصُلُ لَهُ عَـلَى غِرَّةٍ مِنَ العَبْدِ وَغَفْلَةٍ لاَبُدَّ لَهُ مِنْهَا إِذْ هُوَ بَشَرٌ وَأَحْكَامُ البَشَرِيَةِ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الغَفْـلَةِ وَالسَّهْوِ وَالذُّهُولِ وَغَلَبَةِ الطَّبْعِ يَا حَيّ يَا قَيُّومُ تَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَلاَ تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلاَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ آمين .

وَقَــدْ ذُكَــرَ عَنْ وَهْبِ بنِ مُنَبِّه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : فِيْ بَعْضِ الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ[1] (لَسْتُ أَسْكُنُ البُيُوتَ وَلاَ تَسَعنِي وَأيُ بَيْتٍ يَسَعُنِي وَالسَمَوَاتُ حَشْو كرسي وَلَكِــنْ أنَــا فِــي القَلْبِ الوَادعِ التَّارِكِ لِكُلِّ شَيءٍ سِوَايَ وَهَذَا مَعْنَى الأَثَرُ الآخَر (مَا وَسِــعَتْنِي سَــمَاوَاتِي وَلاَ أَرْضِيْ وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِيْ المُؤْمِنِ وَقَلْبُ فِيهِ تَوحِيْدُ اللهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَالإِيْمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيْقُ بِوَعْدِهِ وَفِيهِ شَهَوَاتُ النَّفْسِ وَأَخْلاَقُهَا وَدَوَاعِي الهَوْى وَالطَّبْعِ) .

وَقَــلْبُ بَيْــنَ هَذَيْــنِ الدَّاعِيْــنِ فَمَــرَّةً يَمِيْــلُ بِقَلْبِهِ دَاعِي الإِيْمَانِ وَالمَعْرِفَةِ وَالمَحَــبَّةِ للهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ وَحْدَهُ وَمَرَّةً يَمِيْل بِقَلْبِهِ دَاعِي الشَّيْطَانِ وَالهَوَى وَالطِّبَاعِ فَهَذَا القَلْبُ لِلشَّيْطَانِ فِيْهِ مَطْمَعُ وَلَهُ مِنْهُ مُنَازَلاَتُ وَوَقَائِعُ وَيُعْطِي اللهُ النَّصْرَ مَنَ يَشَاءُ ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[2] وَهَــذَا لاَ يَتَمَكَّنُ الشَّيطَانُ مِنْهُ إِلاَّ بِمَــا عِنْدَهُ مِنَ سِلاَحِهِ فَيَدْخُلُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَيَجِدَ سِلاَحَهُ عِنْدَهُ فَيَأْخُذُهُ وَيُقَاتِلُهُ بِهِ وَإِنَّ أَسْــلِحَتَهُ هِيَ الشَّهَوَاتُ وَالشُّبُهَاتُ والخَيَالاَتُ وَالأَمَانِيُّ الكَاذِبَةِ وَهِيَ فِي القَلْبِ فَيَدْخُلُ الشَّيْطَانُ فَيَجِدُهَا عَتِيَدةً فَيَأْخُذَهَا وَيَصُولُ بِهَا عَلَى القَلْبِ فَإِنْ كَانَ عِنْدَ العَبْدِ عُدَّةً عَتِيدَة مِــنَ الإِيْمَــانِ تُقَاوِمُ تِلْكَ العُدَّةَ وَتَزِيْدُ عَلَيْهَا انْتَصَفَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِلاَّ فَالدَّوْلَةُ لِعَدُوِه عَــلَيْهِ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَةَ إِلاَّ بِاللهِ فَإِذَا أَذِنَ العَبْدُ لِعَدُوِّهِ وَفَتَحَ لَهُ بَابَ بَيْتِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ وَمَكَّنَهُ مِنَ السَّلاَحِ يُقَاتِلُهُ بِهِ فَهُوَ المَلُومُ .

فنفسك لم ولا تلم المطايا وَمُت كمدا فليس لك اعتذار

---

[1] أورده ابن القيم رحمه الله علينا وعليه في كتاب الوابل الصيب .

[2] سورة آل عمران – آية (١٢٦) .

ثمّ أعلم أنّ للصّلاة الخاشعة ثَمرات منها :

١ – مِنَ الثَّمَرَاتِ الْعَظِيمَة للصَّلاة الْخَاشعَة أَنَّهَا مَطْرَدَةُ للدَّاء عَنِ الجَسَدِ فَكَمْ عَرَفْنَا مِــنَ المَرْضَى مِنْ فَشلَتَ العَقَاقِيرُ الطِّبِّيَّةُ فِي عِلاَجِهِمْ فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَى الصَّلاَة بَرِئَتْ عِلَلُهُمْ وَشَفَى اللهُ أَمْرَاضَهُمْ فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : لَعَلَّ فِي هَذِه الحَرَكَاتِ مِنْ قِيَامٍ وَسُجُودٍ وَرُكُوعٍ تَحْلِيلُ لِلْمَوادِ وَتَقْوِيَةُ لِلْجَسَدِ فَالصَّلاَةُ مِنْ أَكْبَرِ الأَدوِيَةِ . بَلْ وَذَكَر أَنَّ العَجَلَةَ مُضِرَّةُ بِالمَفَاصِلِ وَالعظَامِ [1].

٢ – وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصَّلاَة أَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ (إِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لله سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعُكَ بِهَا دَرَجَةً) .

٣ – وَهِــيَ كَذَلِــكَ سَــبَبُ لِحُصُولِ السُّجُودِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَمَا يِمْتَازُ المُؤْمِنُونَ عَنِ المُــنَافِقِينَ فَمَــنْ سَجَدَ لله فِي الدُّنْيَا وَحَافَظَ عَلَى الصَّلاَةِ فِيْهَا وَسَجَدَ لله رَغْبَةً وَرَهْــبَةً سَجَدَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ هُنَا لُمْ يَسْجُدْ هُنَاكَ فَمن ترك الصلاة وَامْتَــنَعَ عَنْهَا مَعَ صِحَّتِه وَسَلاَمَتِه عُوقِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى السُّجُودِ فَكُــلُّ مَــنْ سَجَدَ كَاذِبَاً أَوْ رِيَاءً أَوْ سُمْعَةً يُصبِحُ ظَهْرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ طَبَقَة وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ السَّجُودَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ .

---

[1] بــل ثبت طبيباً هذه الأيام أن الصلاة شفاء إقرأ غير مأمور كتاب (الاستشفاء بالصلاة) للدكتور الزهير بل أورد ابن كثير عن شــيخ المفســرين ابن جرير رحمة الله علينا وعليهم حديثاً فيه أن رسول (مر على أبي هريرة وهو يشتكي الما ببطنه فقال له عليه الصــلاة والسلام (قم فصل فإن الصلاة شفاء) بل وثبت في أبحاث المتخصصين أنها شفاء لأمراض (الدوالي) فسبحان الله الحكيم الخــبير بل والسجود فيه من المنافع العظيمة للجسم ودورته الدموية والجيوب الأنفية في الأنف بل وفي القيام والركوع والخفض والرفع من المنافع ما لا يعلمه إلا الله جل جلاله فسبحانه القائل (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قــليلا) ســورة الإسراء وليس معنى هذا أن يصلي الإنسان من أجل هذه الأمور وإنما هذه الأمور تأتي تبع لها متى ما صدق العــبدُ وصلحت نيته كالصوم فيه من المنافع للجسم عموماً وللمعدة خصوصاً مالا يعلمه إلا الله تعالى وكالزكاة فيها من المنافع للعــبد وأهلــه ومالــه مالا يعلمه إلا الله تعالى والحج كذلك قال الله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) سورة الحج لاحظ منافع بدون ألــف ولام لا تعــد ولا تحصى بل التوحيد قبل ذلك وهو الركن الأول فيه من انشراح الصدر النور التام في الدنيا والآخرة مالا يعلمه إلا الله تعالى .

٤ ـ وَمِنْ ثَمَرَتِهَا أَنَّها تُورِثُ ذِكْرَ اللهِ تَعَالى ، أَفَلاَ يُحِبُّ العَبْدُ مَا يُذْكَرُ بِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَلَــوْ لَــمْ يَكُنْ فِي الصَّلاَةِ فَضِيلَةٌ وَشَرفُ وَفَضْلٌ إلاَّ أَنْ يَذْكُرَ اللهُ صَاحِبَ هَذَا الذِّكْرِ لَكَفَى بِهَا فَضِيلَةً لَهُ .

: أَمَا وَقَدْ دَلَفَ المُصَلُّونَ إِلى المَسْجِدِ فَإِنَّ لَنَا وَقَفَاتٌ مَعَهُمْ لاَ تَخْلُو مِنْ نَصِــيحَةٍ صَادِقَةٍ وَهَمْسَةِ عِتَابٍ لِلأَحِبَّةِ .. فَحَالُ المُصَلِّينَ اليَوْمَ يَجِبُ الوُقُوفُ عِنْدَهَا لأَنَّنَا نَرَى مَظَاهِرَ شَتَّى إِلى الصَّلاَةِ وَمِنْ أَبْرَزِهَا : -

١ ـ عَــدَمُ الطُّمَأْنِينَةِ وَتَأْدِيَةُ الصَّلاَةِ بِسُرْعَةٍ وَعَجَلَةٍ وَنَقْرُهَا كَنَقْرِ الغُرَابِ وَالاِلْتِفَاتِ فِي الصَّلاَةِ وَرَفْعِ البَصَرِ إِلى السَّمَاءِ .

٢ ـ كَثْرَةُ الهَوَاجِسِ وَالخَوَاطِرِ وَذِكْرِ أُمُورِ الدُّنْيَا فِي الصَّلاَةِ .

٣ ـ مُسَــابَقَةُ الإِمَامِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالجُلُوسِ وَالسَّلاَمِ بَلْ لَرُبَّمَا قَامَ المُتَخَلِّفُ يَقْضِي عِنْدَمَا يَسْمَعُ كَلِمَةَ السَّلاَمِ وَهَذَا عِنْدَ جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ قَدْ بَطَلَتْ صَلاَتُهُ وَعَلَيْهِ الإِعَادَةُ .

٤ ـ العَــبَثُ بِالسَّاعَةِ وَالنَّظَرُ إِلَيْهَا ، وَإِصْلاَحُ أَطْرَافِ الثَّوْبِ ، وَتَحْرِيكُ العَبَاءَةِ ، وَرَفْعُ العِمَامَةِ ، وَإِصْلاَحُهَا مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ . وَهُنَاكَ مَظَاهِرُ أُخْرَى تُوحِي بِعَدَمِ الطُّمَأْنِينَةِ وَالخُشُوعِ فِي الصَّلاَةِ يَلْحَظُهَا كُلُّ مُصَلٍّ ، وَقَدْ ذَمَّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ .

أخي المُصلّي :

مَــا أَتَيْتَ هَذِهِ المَسَاجِدَ إلاَّ طَاعَةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَامْتِثَالاً لأَمْرِهِ فَمَا بَالُكَ تُضَيِّعُ ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الحَرَكَةِ وَالغَفْلَةِ فِي الصَّلاَةِ ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الخُشُوعَ هُوَ رُوحُ الصَّلاَةِ وَمَادَّةُ

حَيَاتِهَـا وَإِنْسَـانُ عَيْنِهَا وَهُوَ ثَمَرَةُ الإِيمَانِ وَطَمَأْنِينَةُ النَّفسِ وَأَنَّكَ رُبَّمَا تَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَتِكَ وَلَمْ يُكْتَبْ لَكَ مِنْ صَلاَتِكَ إِلاَّ اليَسِيرُ .

وَقَـدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَقْرَةِ الغُرَابِ وافْتِرَاشِ السَّبُعِ وَأَن يُوَطِّنَ الرَّجُلُ المَكَانَ فِي المَسْجِدِ كَمَا يُوَطِّنُ البَعِيرُ[١] .

وَرَوَي الـبُخَارِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يُصَلِّي وَلاَ يُـتِمُّ رُكُوعَ الصَّلاَةِ وَلاَ سُجُودَهَا فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مِتَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلاَةَ مِتَّ عَلَى غَيْرِ فِطْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُـولُ اللهُ صَـلَّى اللهُ عَـلَيْهِ وَسَلَّمَ (لاَ يُجْزِئُ صَلاَةٌ لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ) وَهَذَا نَصُّ عَنْ النَّبِي فِي أَنْ مَنْ صَلَّى وَلَمْ يُقِمْ ظَهْرَهُ بَعْدَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ كَمَا كَانَ فَصَلاَتُهُ بَاطِلَةُ وَكَذَا الطَّمَأْنِينَةُ أَنْ يَسْتَقِرَّ كُلُّ عُضْوٍ فِي مَوْضعه .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ (خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبَادِ فَمَـنْ جَاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَيِّعْ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ له عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ)[٢] .

---

[١] رواه أحمد وأبو داود وغيرهم .

[٢] رواه أبو داود والنسائي .

قَالَ تَعَالَى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1]

أَيْ خَـائِفُونَ سَـاكِنُونَ ، وَالْخُشُوعُ هُوَ السُّكُونُ وَالطُّمَأْنِينَةُ وَالتُّؤَدَةُ وَالْوَقَارَ وَالتَّوَاضُعُ ، وَالْحَامِلُ عَلَيْهِ خَوْفُ اللهِ وَمُرَاقَبَتُهُ ، وَالْخُشُوعُ أَيْضاً هُوَ قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَـدَيِ الـرَّبِّ بِالْخُضُـوعِ وَالذُّلِّ . وَيُرْوَى عَنْ مُجَاهِدَ أَنَّهُ قَالَ (وقوموا لله قانتين) فَمِنَ الْقُنُوتِ : الرُّكُودُ وَالْخُشُوعُ وَغَضُّ الْبَصَرِ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ مِنْ رَهْبَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْخُشُـوعُ فِي الصَّلَاةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهُ وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ فِي صِفَاتِ عِبَادِهِ الْأَخْيَارِ وَأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً.

---

[1] سورة المؤمنون – آية (١) .

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى المنبَرِ : إنَّ الرَّجُلَ لَشَيِبُ عَارِضَاهُ فِي الإسْلاَمِ وَمَا أكْمَلَ للهِ تَعَالى صَلاَة . قِيلَ وكَيْفَ ذَلكَ ؟ قَالَ لاَ يُتِمُّ خُشُوعَهَا وتَوَاضُعَهَا وَإقْبَالَهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا عُمَرُ فِي صَدْرِ الإسْلاَمِ وَهَذَا قَوْلُهُ فَكَيْفَ لَوْ رَأى وَاقِعَنَا المَرِيرَ هَذَا اليَوْمَ والكَثِيرُ إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ تَذْهَبُ بِهِ أحْوَالُ الدُّنْيَا كُلَّ مَذْهَبٍ فَهُوَ يُصَلِّي بِبَدَنِهِ ولَكِنَّهُ يَذْهَبُ بِفِكْرِهِ إلى الدُّنْيَا وَأسْوَاقِهَا يَبِيعُ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَمَا ذَاكَ إلاَّ مِنَ الغفْلَة .

وَقَالَ الحَسَنُ سَمِعَهُمْ عَامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ وَمَا يَذْكُرُونَ مِنْ ذِكْرِ الضَّيْعَةَ فِي الصَّلاَةِ قَالَ : تَجِدُونَهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ قَالَ وَاللهِ لَئِنْ تَخْتَلِفَ الأَسِنَّةُ فِي جَوْفِي أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ يَكُونَ هَذَا فِي صَلاَتِي . اللهُ أكْبَرُ هَذَا هُوَ الاسْتِعْدَادَ لِيَومِ الخُلُودِ فِي الفِرْدَوْسِ الأعْلَى .

أخِي الحَبِيب .. مَا بَالُنَا هَكَذَا عَنْ الصَّلاَةِ مُضَيِّعُونَ وَلِوَاجِبَاتِنَا مُضَيِّعُونَ . لَقَدْ كَانَ عَبْدُاللهِ بنُ مَسْعُود إذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ كَأنَّهُ ثَوْبٌ مُلْقَى . إنَّنَا نَسْتَغْرِبُ مِنْ ذَلكَ الخُشُوعِ وَتِلْكَ الطُّمَأْنِينَةَ وَمَا ذَاكَ إلاَّ لأنَّنَا لاَ نَرَى هَذَا فِي وَاقِعِ حَيَاتِنَا وَإلاَّ فَإنَّ العَنْبَسَ بنَ عُقْبَةَ كَانَ يَسْجُدُ حَتَّى تَقَعُ العَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ فَكَأنَّهُ جِذْمُ حَائِط .

وَنَسِيرُ مَعَ الصَّالحِينَ .. فَهَذَا أبُو بَكْرِ بن عَيَّاشٍ يَقُولُ : رَأيْتُ حَبِيبَ بنَ أبِي ثَابِتٍ سَاجِداً فَلَو رَأيْتَهُ قُلْتَ مَيِّتٌ يَعْنِي مِنْ طُولِ السُّجُودِ .

وَأمَّا ابنُ ذَهْبٍ فَقَدْ قَالَ : رَأيْتُ الثَّوْرِيَّ فِي الحَرَمِ بَعْدَ المَغْرِبِ صَلَّى ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَةً فَلَمْ يَرْفَعْ حَتَّى نُودِيَ بالعِشَاءِ .

وَقَــدْ صَــلَّىٰ أَبُو عَبْدَ اللهِ النباحي يَوْمَاً بِأَهْلِ طَرَسُوس[1] فَصِيحِ بِالنَّفِيرِ فَلَمْ يُخَفِّفْ الصَّلاَةَ فَلَمَّا فَرَغُوا قَالُوا أَنْتَ جَاسُوسُ . قَالَ وَلِمَ قَالُوا صِيحَ بِالنَّفِيرِ وَأَنْتَ فِي الصَّلاةِ فَلَمْ تُخَفِّفْ قَالَ : مَا حَسِبْتُ أَنَّ أَحَداً يَكُونُ فِي الصَّلاَةِ فَيَقَعَ فِي سَمْعِهِ غَيْرَ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَعَــنْ مَيْمُونَ بنِ حَيَّانَ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مُسْلِمَ بنَ يَسَارٍ مُلْتَفِتَاً فِي صَلاَتِهِ قَطُّ خَفِيفَــةً وَلاَ طَوِيــلَةً وَلَقَــدْ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةُ المَسْجِدِ فَفَزِعَ أَهْلُ السُّوقِ لِهَدْمِهِ وَإِنَّهُ فِي المَسْجِدِ فِي صَلاَتِهِ فَمَا التَفَتَ . فَلِلَّهِ دَرُّهُ إِنَّهُ مُلْتَفِتُ إِلىٰ اللهِ وَحْدَهُ .

وَعِــنْدَمَا سُــئِلَ خَــلَفُ بنُ أَيُّوبِ : أَلاَ يُؤْذِيكَ الذُّبَابُ فِي صَلاَتِكَ فَتَطْرُدَهَا قَــالَ : لاَ أُعَــوِّدُ نَفْســي شَــيْئَاً يُفْسِــدُ عَلَّىٰ صَلاَتِي قِيلَ لَهُ : وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ ذَلِــكَ : قَــالَ بَلَغَنِي أَنَّ الفُسَّاقَ يَصْبِرُونَ تَحْتَ أَسْوَاطِ السُّلْطَانِ فَيُقَالُ : فُلاَنُ صَبُورُ وَيَفْتَخِرُونَ بِذَلِكَ فَأَنَا قَائِمُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّي أَفَأَتَحَرَّكُ لِذُبَابَةٍ فَلِلَّهِ دَرُّهُ ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾[2]

وَعَنْ حَاتِمِ الأَصَمَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ صَلاَتِهِ فَقَالَ: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[3] إِذَا حَــانَت الصَّلاَةُ أَسْبَغْتُ الوُضُوءَ وَأَتَيْتُ المَوْضِعَ الذي أُرِيدُ الصَّلاَةَ فِيهِ فَأَقْعُدُ فِيهِ حَــتَّى تَجْــتَمِعَ جَوارِحِي ثُمَّ أَقُومُ إِلىٰ صَلاَتِي وَأَجْعَلُ الكَعْبَةَ بَيْنَ حَاجِبِي وَالصِّرَاطَ تَحْــتَ قَدَمَيَّ وَالجَنَّةَ عَنْ يَمِينِي وَالنَّارَ عَنْ شِمَالِي وَمَلَكُ المَوْتِ وَرَائِي وَأَظُنُّهَا آخِرَ صَــلاَتِي ثُــمَّ أَقُــومُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالخَوْفِ وَأُكَبِّرَ تَكْبِيراً بِتَحْقِيقٍ وَأَقْرَأُ قِرَاءَةً بِتَرْتِيلٍ وَأَرْكَــعُ رُكُوعَــاً بِتَوَاضعٍ وَأَسْجُدُ سُجُوداً بِتَخَشُّعٍ وَأَقْعُدُ عَلَىٰ الوَرِكِ الأَيْسَرِ وَأَفْرُشُ ظَهْــرَ قَدَمِهَا وَأَنْصُبُ القَدَمَ اليُمْنَى عَلَىٰ الإِبْهَامِ وَأُتْبِعُهَا الإِخْلاَصَ ثُمَّ لاَ أَدْرِي أَقُبِلَتْ

---

[1] طرسوس قيل بأنها قرياً من أهل الكهف الذين قال الله تعالى عنهم (أم حسبت أن أصحاب الكهف) الآية .

[2] سورة المدثر – آية (٧) .

[3] سورة المدثر – آية (٣) .

ظَهْـرَ قَدَمِهَا وَأَنْصِبُ القَدَمَ اليُمْنَى عَلَى الإِبْهَامِ وَأُتْبِعُهَا الإِخْلَاصَ ثُمَّ لاَ أَدْرِي أَقُبِلَتْ مِنِّي أَمْ لاَ؟هكَذَا صَلاَةُ المُوَدِّعِينَ الخَائِفِينَ الرَّاجِينَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[1]

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ وَهَذِهِ وَصِيَّةُ بَكْرٍ المُزَنِي تُنَادِي بِالْحِرْصِ عَلَى الصَّلاَةِ وَإِتْمَامِهَا عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ إِذْ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْفَعَكَ صَلاَتُكَ فَقُلْ لاَ أُصَلِّي غَيْرَهَا .

وَرَغْمِ تِلْكَ العِنَايَةِ بِالصَّلاَةِ وَشِدَّةَ المُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فَإِنَّ عُثْمَانَ بنَ أَبِي دَهْرَشَ قَالَ : مَا صَلَّيْتُ قَطُّ إِلاَّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ تَعَالَى مِنْ تَقْصِيرِي فِيهَا .

أخِي الحَبِيبُ : للهِ قَـوْمٌ امْتَثَـلُوا مَا أُمِرُوا وَزُجِرُوا عَنْ الزَّلَلِ فَانْزَجَرُوا . جَنَّ اللَّيْلُ عَلَيْهِمْ فَسَهِرُوا وَطَالَعُوا صُحُفَ الذُّنُوبِ فَانْكَسَرُوا وَطَرَقُوا بَابَ المَحْبُوبِ وَاعْتَذَرُوا .

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[2]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[3] وَقَـدْ قَـالَ القَاسِـمُ بنُ مُحَمَّدٍ غَدَوْتُ يَوْماً وَكُنْتُ إِذَا غَدَوْتُ بَدَأْتُ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَغَدَوْتُ يَوْماً إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ تُصَلِّي الضُّحَى وَهِيَ تَقْرَأُ . ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[4] وَتَبْكِي وَتَدْعُو وَتُرَدِّدُ الآيَةَ فَقُمْتُ حَتَّى مَلَلْتُ وَهِيَ كَمَا هِـيَ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ ذَهَبْتُ إِلَى السُّوقِ فَقُلْتُ أَفْرُغُ مِنْ حَاجَتِي ثُمَّ أَرْجِعُ فَفَرَغْتُ مِنْ

---

[1] سورة المؤمنون — آية (٦١) .

[2] سورة المؤمنون — آية (١١١) .

[3] سورة المؤمنون — آية (١) .

[4] سورة الطور — آية (٢٧) .

حَاجَــتِي ثُمَّ رَجَعْتُ وَهِيَ كَمَا هِيَ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ ذَهَبْتُ إِلَى السُّوقِ فَقُلْتُ أَفْرَغُ مِنْ حَاجَــتِي ثُمَّ أَرْجِعُ ، فَفَرَغْتُ مِنْ حَاجَتِي ثُمَّ رَجَعْتُ وَهِيَ كَمَا هِيَ تُرَدِّدُ الآيَةَ وَتَبْكِي وَتَدْعُــوا . اللهُ أَكْبَرُ وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ كَذَلِكَ وَقَدْ عَاشَتْ فِي بَيْتِ وَحُجْرَةِ مَنْ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ حَتَّى تَفَطَّرَتَا ، نَبِيِّنَا وَحَبِيبِنَا وَقُرَّةِ أَعْيُنِنَا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَمِنْ دُعَائِهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا . (اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْنَا وَقِنَا عَذَابَ السَّمُومِ) .

وَعَــنْ هِشَــامَ أَنَّ حَفْصَــةَ بِنْتَ سِيرِينَ كَانَتْ تَدْخُلُ فِي مَسْجِدِهَا فَتُصَلِّي فِيهِ الظُّهْرَ وَالعَصْرَ وَالمَغْرِبَ وَالعِشَاءَ وَالصُّبْحَ ثُمَّ لاَ تَزَالُ فِيهِ حَتَّى يَرْتَفِعَ النَّهَارُ وَتَرْكَعُ ثُــمَّ تَخْــرُجُ فَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ وُضُوءُهَا وَنَوْمُهَا حَتَّى إِذَا حَضَرَتْ الصَّلاَةُ عَادَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا .

وَعَنْ مَهْدِيٍّ بنِ مَيْمُونَ قَالَ : مَكَثَتْ حَفْصَةُ فِي مُصَلاَّهَا ثَلاثِينَ سَنَةً لاَ تَخْرُجُ إِلاَّ لِحَاجَةٍ أَوْ لِقَائِلَةٍ .

وَعَــنْ هِشَامَ بنِ حَسَّانٍ قَالَ كَانَ الهُذَيْلُ بنُ حَفْصَةَ يَجْمَعُ الحَطَبَ فِي الصَّيْفِ فَيُقَشِّــرُهُ وَيَــأْخُذُ القَصَــبَ فَيَفْــلُقُهُ ، قَــالَتْ حَفْصَــةُ وَكُنْتُ أَجِدُ قُرَّةً فَكَانَ إِذَا جَاءَ الشِّــتَاءُ جَــاءَ بِالكَــانُونِ فَيَضَــعَهُ خَلْفِي وَأَنَا فِي صَلاَتِي وَمُصَلاَّيَ ثُمَّ يَقْعُدُ فَيُوقِدُ بِذَلِــكَ الحَطَــبَ المُقَشَّــرَ وَذَاكَ القَصَــبَ المُفَلَّقَ وَقُودًا لاَ يُؤْذِي دُخَانُهُ[1] وَيُدْفِئُنِي قَالَتْ وَلَرُبَّمَا أَرَدْتُ أَنْصَرِفُ إِلَيْهِ فَأَقُولَ يَا بُنَيَّ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَأَذْكُرُ مَا يُرِيدُ فَأَدَعَهُ قَــالَتْ حَفْصَةُ فَلَمَّا مَاتَ رَزَقَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ مَا شَاءَ أَنْ يَرْزُقَ غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ

---

[1] هنيئاً له هذا البر بأمة يقف خلف ظهرها يدفئها وهي تصلي وتقوم الليل ومع ذلك يقشر الحطب لئلا يؤذيها دخانه .

أجِـدُ غصَّةً[1] لاَ تَذْهَبُ قَالَتْ فبَيْنَمَا أنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ أَقْرَأُ سُورَةَ النَّحْلِ إِذْ أَتَيْتُ عَلَىٰ هَذهِ الآيَةِ ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2] قَـالَتْ فَأَعَدْتُهَـا فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كُنْتُ أَجِدُ . وَهَكَذَا فَالقُرْآنُ لِمَنْ تَدَبَّـرَهُ وَتَلاَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ وَعَمِلَ بِهِ وكَرَّرَهُ كَانَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ شِفَاءً لَهُ وَهُدَىً وَرَحْمَةً : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]

وَعَنْ هِشَامَ قَالَ : كَانَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ تُسْرِجُ سِرَاجَهَا مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ تَقُومُ فِـي مُصَـلاَّهَا فَرُبَّمَا طَفِئَ السِّرَاجُ فَيُضِيءُ لَهَا البَيْتُ حَتَّى تُصْبِحَ . هَنِيئاً لَهَا بِهَذهِ الكَرَامَةَ مِنَ اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ القَائِلُ فِي مُحكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾[4]

فَـأَيْنَ نِسَـاءَ اليَـوْمِ مِنْ التَّشَبُّهِ بِهَؤُلاَءِ المُؤْمِنَاتِ العَفِيفَاتِ العَابِدَاتِ القَانِتَاتِ الخَاشِعَاتِ الصَّابِرَاتِ الذَّاكِرَاتِ الحَافِظَاتِ ، فَاللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ أَجْمَعِينَ إِلَىٰ صِـرَاطِكَ المُسْـتَقِيمِ يَـا مُجِيـبَ الدَّعَوَاتِ وَأَذِقْنَا يَا رَبَّ الإِيمَانَ . نَعَمْ يَا أَيُّهَا المُسْـلِمُونَ وَالمُسْلِمَاتُ إِنَّ لِلإِيمَانِ طَعْمُ وَحَلاَوَةُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ (ثَلاَثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّـا سِـوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) .

---

[1] أي حُزْناً وَوَجْداً عَظِماً عَلَى فِرَاقِهِ وَمَوْتِهِ .

[2] سورة النحل – آية (٩٥ – ٩٦) .

[3] سورة الإسراء – آية (٨٢) .

[4] سورة الحديد – آية (٢٨) .

الله أكـبرُ إنَّ سؤالاً حيّر كَثِيراً مِنَ النَّاسِ وَهُوَ لِمَاذَا لاَ يَشْعُرُوا بِلَذَّةِ الصَّلاَةِ وَالعِـبَادَةِ فَإنَّ لِلصَّلاَةِ وَالعِبَادَةِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَقْعُ خَاصُ فِي النُّفُوسِ وَلَذَّةَ لاَ يَشْعُرُ بِهَا إلاَّ مَنْ قَوِيَتْ صِلَتُهُ بِالله لِصِدْقِهِ فِي اتِّصَالِه بِالله وَتَوَدُّدِه إلىٰ رَبِّه الغَفُورِ الوَدُودِ فِـي لَيْـلِه وَنَهَـارِهِ فَبِالصَّلاَةِ وَالعِبَادَةِ الحَقَّةِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَحْدَهُ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ وَتَتَّسِعُ وَتَحْيَا القُلُوبُ وَتَسْلَمُ فَيَعِيشُ الإنْسَانُ سَعَادَةً أبَدِيَّةً وَرَاحَةً نَفْسِيَّةً قَالَ تَعَالَىٰ :

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[1] . ولَكِـن حِينَمَا تَجَاهَلَ كَثِيرُ مِنَ النَّاسِ أَهَمِّيَّةَ الصَّلاَةِ وَالعِبَادَةِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَقَعُوا فِي أمْرَاضِ القُلُوبِ المُتَنَوِّعَةِ الخَطِيرَةِ، أعْنِي أمْرَاضَ القُلُوبِ المَعْنَوِيَّةِ ، أمَّا أمْرَاضُهُ الحِسِّيَّةُ فَقَدْ تَرَقَّوْا فِي ذَلِكَ حَتَّى فُتِحَتْ أقْسَـامُ وَأقْسَـامُ لِشَتَّى أمْرَاضِ القُلُوبِ وَكَثُرَ أطِبَّاءُ القُلُوبِ مِنْ دَكَاتِرَةٍ مُتَخَصِّصِيْنَ وَلَكِـنْ عَـلَىٰ العَكْـسِ مِـنْ ذَلِكَ قَلَّ عُلَمَاءُ القُلُوبِ فَتَرَاكَمَتْ عَلَيْهَا الذُّنُوبُ فَوَقَعَتْ فِـي المُـنْكَرَاتِ وَاجْـتَرَأَتْ عَـلَىٰ المُحَـرَّمَاتِ حَتَّى وَقَعَ أكْثَرُ النَّاسِ فِي أمْرَاضَ عَدِيدَةٍ كَثِيرَةٍ خَطِيرَةٍ مِنْهَا مَرَضُ النِّفَاقِ وَمَرَضُ الشَّهَوَاتِ وَمَرَضُ الشُّبُهَاتِ وَمَرَضُ فَقْـدِ الغَيْـرَةِ وَمَـرَضُ العُجْـبِ وَمَـرَضُ الغُرُورِ وَمَرَضُ الشُّهْرَةِ فَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَعْمَـلُ لِشُـهْرَةِ نَفْسِـهِ وَبَيْـنَ مَنْ يَعْمَلُ لِشُهْرَةِ الإسْلاَمِ وَالقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَصَدَقَ الله القَائِلُ : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾[2]

---

[1] سورة طه – آية (١٢٣) .

[2] سورة آل عمران – (١٥٢) .

وَمِـنْ أَخْطَـرِ أَمْرَاضِ القُلُوبِ مَرَضُ العَادَةِ وَهَذَا المَرَضُ تَحَوَّلَتْ بِهِ لَذَّاتُ العِـبَادَاتِ وَالصَّلَوَاتِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالدَّعَوَاتِ إِلَى عَادَاتٍ حَتَّى أَصْبَحَ الكَثِيرُ مِنَ المُصَابِينَ بِهَذَا المَرَضِ الخَطِيرِ يُصَلِّي وَيَقْرَأُ عَادَةً لاَ عِبَادَةً يُصَلِّي صَلاَةً هُوَ لِلْعُقُوبَةِ أَقْـرَبُ مِنْهُ لِلرَّحْمَةِ وَلِهَذَا المَرَضِ أَسْبَابٌ خَمْسَةٌ أَوَّلُهَا : ضَعْفُ الإِخْلاَصِ فَلَمَّا قَلَّتِ المُرَاقَـبَةُ للهِ جَـلَّ جَلاَلُهُ فَسَدَتِ الأَعْمَالُ وكَثُرَتْ آفَاتُهَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَالعُجْبِ وَحُـبِّ المَدْحِ وَالثَّنَاءِ الكَاذِبِ بَلْ وَالصَّادِقِ فَوَقَعَ هَؤُلاَءِ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الشِّرْكِ وأَسَنِهِ فَفَقَـدُوا لَـذَّةَ العِـبَادَةِ وَالصَّـلاَةِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ لأَنَّ مَنْ رَجَى غَيْرَ اللهِ وَأَحَبَّ مَدْحَ النَّاسِ وَعَمِلَ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ فَسَدَ قَلْبُهُ وَمِنْ بَابِ أَوْلَى عَمَلُهُ قَالَ تَعَالَى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]

لاَحِظْ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ (أَحَداً) فَإِنَّهَا تَعُمُّ الرِّيَاءَ الذِي لاَ يَكَادُ يُرَى وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ نَمْلَةٍ سَوْدَاءَ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ عَلَى صَخْرَةٍ سَوْدَاءَ . يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ .

الأَمْرُ الثَّانِي : التَدَنُّسُ بِالمَعَاصِي حَتَّى لَقَدْ سَمَّى اللهُ المُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾[2]

لأَنَّـهُ لاَ يَدْخُـلُ المَسْجِدَ إِلاَّ مَنْ كَانَ أَهْلاً لِلاتِّصَالِ المُبَاشِرِ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالمَغَـارِبِ وَخَـالِقِ الإِنْسَـانِ مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ ، أَمَّا مَنْ دَنَّسَ نَفْسَهُ بِالمَعَاصِي فَإِنَّ لِلْمَعْصِيَةِ شُؤْمٌ عَظِيمٌ وَبَلاَءٌ خَطِيرٌ فَالمَعَاصِي هِيَ العَدُوُّ اللُّدُودُ لِلَذَّةِ وَحَلاَوَةِ الطَّاعَاتِ وَالصَّلَوَاتِ وَهِيَ مَرَضُ القَلْبِ الخَطِيرِ ، بَلْ إِذَا كَثُرَتِ المَعَاصِي وَتَرَاكَمَتْ وَاجْتَمَعَتْ عَـلَى العَبْدِ أَهْلَكَتْهُ ، وَأَمَاتَتْ قَلْبَهُ حَتَّى لَقَدْ قَالَ وَاحِدُ مِنْ سَلَفِنَا الكِرَامِ (حُرِمْتُ قِيَامَ الـلَّيْلِ خَمْسَـةَ أَشْهُرٍ بِذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ) لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ اللهُ أَكْبَرُ سُبْحَانَ اللهِ هَذَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ

---

[1] سورة الكهف – آية (١١٠) .

[2] سورة التوبة – آية (٢٨) .

حُـــرِمَ لَذَّةَ الصَّلاَةِ وَالطَّاعَةِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ فَكَيْفَ بِمَنْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا مَعَاصٍ بَلْ وَكَبَائِرَ بَلْ وَفِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ مُوبِقَاتٍ فَمِنْ أَيْنَ يَشْعُرُ بِلَذَّةِ وَحَلاَوَةِ الصَّلاَةِ وَالطَّاعَاتِ .

الأَمْرُ الثَّالِثُ : التَوَسُّعُ فِي المُبَاحَاتِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ وَالْمَرَاكِبِ وَفُضُــولُ الــنَّظَرِ وَفُضُولُ الاسْتِمَاعِ وَفُضُولُ الكَلاَمِ وَالْمُخَالَطَةِ وَفُضُولُ النَّوْمِ فَكُلَّمَا تَوَسَّــعَ الإِنْسَانُ فِيهَا وَتَجَاوَزَ الحَدَّ المَشْرُوعَ المَطْلُوبَ الذِي حَدَّدَتْهُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَةُ قَصُــرَ عَنْ العِبَادَةِ وَأَوْرَثَهُ هَذَا التَّوَسُّعُ (الكَسَلَ وَالفُتُورَ وَالْخُمُولَ حَتَّى يَفْقِدَ كَثِيراً مِنْ العِبَادَاتِ وَيَفْقِدُ التَّلَذُّذَ بِالصَّلاَةِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ لِثِقَلِهَا عَلَى النَّفْسِ المُتَوَسِّعَةِ فِي الدُّنْيَا) وَالنَّفْسُ كُلَّمَا وَسَّعْتَ عَلَيْهَا ضَاقَ الصَّدْرُ وَفَقَدَ حَلاَوَةَ الطَّاعَةِ القَلْبُ ، وَكُلَّمَا ضَــيَّقْتَ وَعَــانَدْتَ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ كُلَّمَا اتَّسَعَ الصَّدْرُ وَشَعَرَ بِحَلاَوَةِ الصَّلاَةِ وَالقُرْآنِ وَالطَّاعَةِ القَلْبُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي التَّوَسُّعِ فِي المُبَاحَاتِ إِلاَّ الخُرُوجُ إِلَى سَاحَةِ التَّبْذِيرِ الذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِهِ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[1]

وَسَاحَةِ الإِسْرَافِ التِي قَالَ اللهُ عَنْ أَهْلِهَا :

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[2] تَدَبَّرْ (إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ)

الأَمْرُ الرَّابِعُ : الــزُّهْدُ فِي الأَجْرِ وَالثَّوَابِ فَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَزْهَدَ هَؤُلاَءِ فِي الدُّنْيَا زَهِــدُوا فِي الآخِرَةِ ، وَحِينَمَا يَزْهَدُ الإِنْسَانُ فِي الآخِرَةِ وَأَجْرِهَا وَثَوَابِهَا العَظِيمِ عَلَى الطَّاعَــاتِ فَإِنَّــهُ بِهَذَا الزُّهْدِ يَفْقِدُ تَدْرِيجِيًا لَذَّةَ الصَّلاَةِ وَالطَّاعَاتِ وَيَسْتَلِذُّ الرَاحَةَ فَلاَ يَتَحَسَّرُ لِفَوَاتِ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ بَلْ قَدْ تَفُوتُهُ الرَّكْعَةُ وَلاَ يَحْزَنُ عَلَى ذَلِكَ بَلْ وَقَدْ تَفُوتُهُ الصَّــلاَةُ وَلاَ يَحْــزَنُ عَلَى ذَلِكَ وَإِذَا قُلْتَ لَهُ الصَّلاَةَ قَالَ سَنُصَلِّي جَمَاعَةً أَيُّ جَمَاعَةٍ

---

(1) سورة الإسراء – آية (٢٧) .

(2) سورة الأعراف – آية (٣١) .

سَتُصلِّيَها . إنَّ الجَمَاعَةَ التِي فيهَا الأَجْرُ العَظِيمُ هِيَ الجَمَاعَةُ الأُولَى التِي أُذِّنَ وَأُقِيمَ لإِمَامِهَــا . أَمَّا الصَّلاَةُ التِي تَأْتِي بَعْدَ ذَلكَ فَلَيسَتْ كَصَلاَةِ الجَمَاعَةِ الأُولَى ولَيْسَ لَهَا كَمَالُ الأَجْرَ بَلْ لَقَدْ هَمَّ عَلَيه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنْ يُحَرِّقَ بُيُوتَ هَؤُلاَءِ لَوْلاَ مَا فِيهَا مِنْ النِّسَــاءِ وَالذُّرِّيَّــةِ بَــلْ لَــرُبَّمَا ضَحِكَ وَفَرِحَ بَعْدَ الصَّلاَةِ وَقَدْ فَاتَتْهُ تَكْبِيرَةُ الإِحْرَامِ وَقَــدْ فَاتَــتْهُ رَكْعَــةُ أَوْ رَكْعَتَانِ لأَنَّهُ قَدْ فَقَدَ لَذَّةَ العِبَادَةِ وَلاَ يَتَحَسَّرُ عَلَى فَوَاتِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَلاَ غَيْرِهِ مِن الطَّاعَاتِ وَلاَ يَتَحَسَّرُ لِفَوَاتِ جُزْءٍ مِنْ تِلاَوَةِ القُرْآنِ وكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي حَاجَــةٍ إِلَى الطَّاعَــةِ التِي تُوصِلُهُ إِلَى الجَنَّةِ وَمَحَبَّةِ الله تَعَالَى فَيَفْقِدُ مُلاَحَقَةَ الطَّاعَةِ وَالمُنَافَسَــةَ فِــي الخَيْــرَاتِ وَالمُسَــارَعَةِ إِلَى الجَــنَّاتِ بَــلْ لَــوْ قِيلَ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَكْسِــبَ أَلْــفَ رِيَــالٍ أَمْ أَنْ تَكْسِــبَ صَــلاَةَ الفَجْرِ فِي المَسْجِدِ مَعَ الجَمَاعَةِ لآثَرَ الدِّرْهَــمَ وَالدِّينَارَ عَلَى صَلاَةٍ لاَ يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ بَلْ لَوْ قِيلَ مَنْ شَهِدَ الفَجْرَ مَعَ الإِمَامِ فَلَهُ خَمْسُمِائَةِ رِيَالٍ لَمَا وَسِعَتِ المَسَاجِدُ المُصَلِّينَ . وَهَلْ سَيَتْرُكُ وَاحِــداً مِنْ أَوْلاَدِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ نَائِماً لاَ يَشْهَدُ الصَّلاَةَ لاَ ، وكَلاَّ . لِمَاذَا ؟ وَصَدَقَ الله القَائِلُ : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[1]

بَــلْ لَــرُبَّمَا غَضِبَ لَوْ مُنِعَ مِنْ رَاتِبِهِ مِائَةُ رِيَالٍ وَزَمْجَرَ . وَلاَ يَغْضَبُ مِن الشَّيْطَانِ وَلاَ يَسْخَطُ لَوْ فَاتَتْهُ تَكْبِيرَةُ الإِحْرَامِ وَلاَ يَحْزَنُ لَوْ تَأَخَّرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى مَا بَعْدَ دُخُولِ الإِمَامِ وَأَحْسَنَ اللهُ العَزَاءَ لِمَنْ دَخَلَ بَعْدَ دُخُولِ الإِمَامِ ، لأَنَّهُ قَدْ حَرَمَ نَفْسَهُ وَظَلَمَهَا بِعَدَمِ كِتَابَةِ اسْمِهِ فِي صَحِيفَةِ المَلاَئِكَةِ التِي لاَ يَعْرِفُ قَدْرَ هَذَا الاسْمِ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ إِلاَّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ .

---

[1] سورة آل عمران – آية (١٥٢) .

لعبدالرحمن بن أبي ليلى دخل على امرأة وهو يقرأ سورة هود ، واسمعوا إلى أولاد السلف كيف يمشي ويجلس الواحد منهم وهو يقرأ القرآن لما ذاقوا لذته وحلاوته على العكس من كثير من أولاد الخلف الذي يمشي ويجلس الواحد منهم ويردد الأغنية أو يسب أو يستهزئ أو يقرأ الجريدة والمجلة ، فلما سمعته قالت له أهكذا تقرأ سورة هود تعاتبه على عجلته في التدبر ثم قالت والله إني فيها منذ ستة أشهر وما فرغت من قراءتها هنيئاً لها بحلاوة التلاوة والعبادة . ابن عمر الصحابي الجليل أتعرفون كم جلس يقرأ في سورة البقرة لقد جلس في سورة البقرة فقط ثمان سنوات وقال أيضاً ابن الجوزي عن ابن عثمان واسمه سعيد ، وقال عنه ثقة من أهل العلم أن امرأة مؤمنة تقية عابدة أذاقها الله حلاوة الصلاة والذكر والعبادة والصبر حتى كساها سبحانه نضارة العبادة حتى بعدما حل بدارها من رزايا حيث ذبح زوجها أضحية لهم فقال واحد من أبنائهم لأخيه الأصغر ألا أريك كيف صنع أبي بالشاة فأخذ السكين وذبحه . تقول هذه المرأة المؤمنة فلما ذبحه بالسكين التي تركها والده في متناول يده هرب خوفاً من والده . يقول ابن الجوزي عن هذه المرأة الصابرة فلقيه ذئب فأكله وبينما والده يبحث عنه في الصحراء وفي الجبال وفي القفار مات هو الثالث عطشاً لأنه لما هرب من البيت وخلفه مصيبة وأمامه مصيبة نسي نفسه وتفطرت كبده حتى مات عطشاناً فصبرت لوحدها في دارها ومن معك في دارك وقد ماتوا جميعاً قالت : سبحان الله اسمعوا إلى الجواب معي من أناجيه . الله أكبر هنيئاً لأهل الإيمان ، معي من أناجيه فهل علي وحشة معه وهو أنيسي . كلا والله لا وحشة عليها ، وهل معها في الليل مصباح أو كهرباء أو سخانة أو الباب من حديد . الله أكبر ، إن نور ومصباح الإيمان يغني عن المصابيح والكهرباء ولا تغني المصابيح والكهرباء عن الإيمان وحلاوته ولذته في القلوب.

الأمرُ الخَامس: قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1]

جَاهَدُوا فِينَا لاَحِظْ وَلَمْ يَقُلْ عَمِلُوا فِينَا فَقَطْ فَالنَّفْسُ تَحْتَاجُ مِنكَ إِلَى جِهَاد، فَالنَّفْس أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ تُحِبُ الكَسَلَ وَالخُمُولَ وَهِيَ كَالدَّابَةِ إِن عَرَفَتْ جِدَّكَ جَدَّتْ وَرَكِبْتَ عَبْرَهَا إِلَى الجَنَّةِ وإِنْ عَرَفَتْ كَسَلَكَ طَمعَتْ فِيكَ حَتَّى تَقُودَكَ إِلَى السُّوءِ وَالمُنْكَرَاتِ وَالسَّهَرَاتِ وَجَعَلَتْكَ مَطِيَّةً لَهَا إِلَى النَّارِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ.

وَلَقَدْ بَكَى وَاحِدُ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِه فَقَالَ عَلَى لَيْلَةٍ مَا قُمْتُهَا وَيَوْمٍ مَا صُمْتُهُ اللهُ أَكْبَرُ إِذَا كَانَ هَذَا البُكَاءُ عَلَى نَوَافِلِ العِبَادَاتِ فَكَيْفَ بِمُحَافَظَتِه عَلَى وَاجِبَاتِهَا وَكَيْفَ لَوْ رَأَى مَنْ ضَيَّعُوا الوَاجِبَاتِ وَلَمْ يَبْكُوا عَلَى ضَيَاعٍ وَلَمْ يَحْزَنُوا عَلَى تَرْكٍ.

وَفِي الخِتَامِ.. فَمَنْ أَرَادَ السَعَادَةَ وَلَذَّةَ الصَّلاَةِ وَالعَبَادَةِ فَعَلَيْهِ بِإِصْلاَحِ النِيَّةِ وَالإِخْلاَصِ للهِ تَعَالَى فِي السِّرِ وَالعَلاَنِيَةِ وَإِرْضَائِه وَلَوْ سَخِطَتْ البَشَرِيَّةُ وَلْنَسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ القَاعِدَةِ العَظِيمَةِ عَنِ ابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (لاَ يَجْتَمِعُ الإِخْلاَصُ فِي القَلْبِ وَمَحَبَّةُ المَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ إِلاَ كَمَا يَجْتَمِعُ المَّاءُ وَالنَّارُ وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ لَذَّةُ الصَّلاَةِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالعِبادَةِ لاَ تَحْصُلُ إِلاَّ بِالإِخْلاَصِ فَإِذَا أَرَدْتَ الإِخْلاَصَ فَأَقْبِلْ عَلَى الطَّمَعِ فِيمَا عِندَ النَّاسِ فَاذْبَحْهُ بِسكِّينِ اليَأْسِ ثُمَّ أَقْبِلْ عَلَى المَدْحِ وَالثَّنَاءِ فَازْهَدْ فِيهِمَا كَمَا يَزْهَدُ عُشَّاقُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكَ اليَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَالزُّهْدِ فِي ثَنَاءِ وَمَدْحِ النَّاسِ سَهُلَ عَلَيْكَ الإِخْلاَصُ وَشَرِبْتَ غبًّا لَذَّةَ العِبَادَةِ وَالصَّلاَةِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ حَتَّى لَقَدْ ذَكَرَ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ وَلَدًا

[1] سورة العنكبوت – آية (٦٩).

سابعاً : لاَ تَــدَعِ النَوَافِلَ وَبِخَاصَةِ الرَوَاتِبَ كَالوِتْرِ وَسُنَّةَ الفَجْرِ وَعَلَيك بقيام الليل . وَأَرْبَــعَ رَكعَاتٍ قَبلَ الظُهْرِ وَأَرْبَعاً بَعْدَهَا وَأَرْبَعاً قَبلَ العَصْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ .

ثامناً : التَفَكُرُ فِي مَعَانِي الآَيَاتِ التِي تَقْرَأُهَا وَتُرَدِدُهَا .

تاسعاً : لاَ تَتَعَجَّلْ فِي صَلاَتِكَ وَلاَ تَكُنْ الصَّلاَةُ أَهْوَنَ شَيْءٍ عِنْدَكَ تُؤَدِيهَا كَيْفَمَا كَانَ.

عاشراً : التَأَدُبُ فِي الصَّلاَةِ بِعَدَمِ الحَرَكَةِ أَوْ الالْتِفَاتِ أَوْ العَبَثِ المَنهِيِّ عَنْهُ .

الحادي عشر : فَرِّغْ قَلْبَكَ مِنْ شَوَاغِلِ الدُنْيَا بِمَا فِيهَا مِنْ فِتَنٍ وَشَوَاغِلَ لاَ تُسَاوِي عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ .

الثاني عشر : صَــلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ فَكُلُ مَنْ نَعْرِفُهُمْ رَحَلُوا بَعْدَ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ وَأَنْتَ لاَبُدَّ مِــنْهُمْ سَتَمُوتُ بَعْدَ صَلاَةٍ تُصَلِّيهَا اللهُ أَعْلَمُ مَا هِيَ هَذِهِ الجُمُعَةُ وَمَا هِيَ هَذِهِ الصَلاَةُ ؟

الثالث عشر : إِذَا قُلْتَ : اللهُ أَكْبَرُ فَتَذَكَّرْ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلاَلُهُ وَتَقَدَسَتْ أَسْــمَاؤُهُ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُهُ وَلاَ كَبِيرَ سِوَاهُ وَلاَ نِدَّ وَلاَ سَمِيَّ وَلاَ شَبِيهَ لَهُ ، أَعْظَمُ وَأَكْــبَرُ مِــنْ كُــلِّ شَــيْءٍ فَأَقْــبِلْ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ وَكُلِّكَ وَاتْرُكِ الدُنْيَا بِأَشْغَالِهَا وَاتِّصَالاَتِهَا وَرَاءَ ظَهْرِكَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾[1]

---

[1] سورة النحل – آية (٩٦) .

نَسْـــأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَأَنْ يُزَيِّنَهُ فِي قُلُوبِنَا اللَّهُمَّ كَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْــرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِن الرَّاشِدِينَ آمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ . وَبَعْدُ أَخِي المُسْــلِمُ تَذَكَّــرْ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ الأُمُورِ أَنْ تَجْعَلَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصْبَ عَيْنَيْكَ ، فَعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَـــلَّى اللهُ عَـــلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَوْصِنِي قَالَ عَلَيْكَ بِالإِيَاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَإِيَّـــاكَ وَالطَّمَـــعَ فَإِنَّهُ الفَقْرُ الحَاضِرُ ، وَصَلِّ صَلَاتَكَ وَأَنْتَ مُوَدِّعٌ وَإِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِي . فَلَاحِظْ وَصَلِّ صَلَاتَكَ وَأَنْتَ مُوَدِّعٌ . هَكَـــذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ إِذَا صَلَّى ظَنَّ أَنَّهَا هِيَ آخِرُ صَلَاةٍ يُصَلِّيهَا فَأَتْقَنَهَا وَخَشَعَ للهِ تَعَالَى فِيهَا وَاطْمَأَنَّ بِاللهِ . وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّهُ مَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلاَّ وَسَيَمُوتُ بَعْدَ صَلَاةٍ يُصَلِّيهَا ، اللهُ أَعْلَمُ مَا هِيَ هَذِهِ الصَّلَاةُ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ صَلَّى الظُّهْرَ ، وَالعَصْرَ صُلِّيَ عَلَيْهِ مَيِّتاً .

وَلَكِنْ

كَيفَ السَّبِيلُ إِلَى الخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ وَالوَسَائِلُ الَّتِي تُعِينُ عَلَى ذَلِكَ :-

أَوَّلاً : اجْمَعْ نَفْسَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ .

ثَانِياً : اسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ مَنْ سَتَقِفُ أَمَامَهُ وَهُوَ اللهُ عَزَّ وَعَلَا .

ثَالِثاً : الرَّجَاءُ فِي الحُصُولِ عَلَى ثَوَابِ الصَّلَاةِ كَامِلَةً .

رَابِعاً : إِحْسَـــانُ الوُضُوءِ وَعَدَمُ الإِسْرَافِ وَتَرْكُ الأَعْقَابِ (وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ) أَيْ إِذَا لَمْ يُصِبْهَا الوُضُوءُ .

خَامِساً : التَّهَيُّأُ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ وَتَهْيِئَةُ المَكَانِ لِلصَّلَاةِ .

سَادِساً : الحَذَرُ مِنَ التَّهَاوُنِ فِي أَدَاءِ الصَّلَاةِ مَعَ الجَمَاعَةِ وَالسَّعْيِ لَهَا مَعَ الأَذَانِ وَهَذَا لِلسَّابِقِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَيَحْرِصُونَ عَلَى القُرْبِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[1]

وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ الصَّلاَةَ وَالقُرْآنَ وَالتَّوحِيْدَ وَالسُنةَّ قُرَّةً لأَعْيُننَا وَانْشِرَاحاً لِصُدُورِنَا وَذَهَابًا لِهُمُومِنَا وَغُمُومِنَا وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ كَثِيْراً وَالمُسَبِحِيْنَ لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيْلاً وَاغفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَهْلِيْنَا وَذُرِيَّاتِنَا وَأَقْرِبَائِنَا وَأَرْحَامِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا وَمَنْ لَهُ حَقٌ عَلَيْنَا مِنَ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَاغْفِرِ يَا رَبَّنَا لَنَا وَلِلمُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ وَاشْكُرْ يَا رَبَّنَا سَعْيَنَا وَسَعْيَ مَنْ سَعَى فِي نَشْرِ هَذَا الكِتَابِ وَاغْفِر لَهُ وَارْحَمْهُ وَمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ وَكَتَبَهُ وَقَرَأَهُ وَاستَمَعَهُ وَسَعَى فِي نَشْرِهِ - آمِيْن - اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيْمَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيد ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيْمِ وَآلِ إِبْرَاهِيْمِ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ .. آمين .

---

[1] سورة الإسراء – آية (١٩) .